١١

الباب

سلسلة

شباك المنور

صراع رومية ٧

مجاهد فى الجبانة

إسحق إسكندر

١١

سلســـــلة
مــلء الجبــاب

العدد الحادى عشــر
ينايـــــر ٢٠٠٢

شــباك المنــور

صراع رومية ٧

مجاهد فى الجبّانة

إسـحق إســكندر

سلسلة ملء الجباب

صدر منها :

١- ملء الجباب
٢- تكفيك نعمتي
لماذا أنا بالذات؟
٣- كرسي المسيح
٤- حبيب الرب
٥- أرى الدم
ثلاثة أبكار
أربع معارك
٦- على الشجوية
٧- روشتة للألم
٨- كاهن عظيم
٩- السجين الحالم
١٠- ميمي بك
١٢- رئيس الخلاص
- لنا شفيع
- Upon Shiggaion
- The Shadow of Death
- The Brass Serpent

إيداع رقم 2001/10996 بدار الكتب
ترقيم دولي 977-6026-01-X

الفهـــرس

(تابع الفهرس)

مقدمـــة

أشكر الرب الذى أعان عبده الضعيف على استكمال إصدار هذه الثلاثية .. التى بدأت بـــ " السـجين الحالم " .. وبعده " ميمى بك " .. ثم انتهت بهذا العدد.

وذلك لتكون بين يدى القارئ العزيز .. مصلياً حتى يجد فيها ما يساعده على اجتياز اختبار (رومية ٧) ، إن كان لم يزل فيه بعد .. أو يجد فيها ما يدفعه للشكر للرب ، إن كان قد تجاوز هذا الاختبار المرير.

مع تقديم اعتذارى ـ ثانية ، بعد اعتذارى فى العدد السابق ـ إن جاءت بعض الآراء فى هذا العدد أيضاً مخالفة لآراء بعض المؤمنين .. وعذرى فى ذلك أننى لا أملك إلا أن أكون صادقاً مع نفسى ، ومع القارئ ، فى تقديم ما اعتقده من فكر كتابى .. عشته فى الواقع العملى .. سيما إن كان هذا الواقع ، هو اختبار ضعفى الإنسانى ، وعجزى ، وفشلى.

إذ لا مفر من الاعتراف بهذا الواقع ، إن رمنا التطلع إلى حياة أفضل فى المستقبل .. يمد الرب لنا فيها يد الإنقاذ من هذا العجز.

وفى هذا المعنى يكتب الناقد الدكتور " عبد القادر القط " ، قائلاً : " إن التخلى عن الصِيَغ التى نعلم جميعنا أنها خاوية من المعنى .. والتزوُّد بشجاعة الاعتراف بالواقع .. هما نقطة البداية الفعلية لتقدم حقيقى ".

أما الرسول المغبوط بولـس ، فلا يكتفى بمجـرد الاعتراف .. بل يكتب : " بكل سرور **أفتخر** بالحرى فى ضعفاتى (والضعفات غير الخطايا) لكى تحلَّ علىّ قوة المســيح " (٢كو١٢:٩).

آملاً من القارئ العزيز أن يدعم هذه الســـلســـــلة بالصلاة ـــ وغيرها ـــ حتى يتواصل إصدارها .. حيث أن جميع النسخ ـــ تقريباً ـــ توزع مجاناً.

وشـــــكر

- للدكتور أشرف إميل بأسيوط لتبرعه بطابعة لتكون نواة لخط طباعة.
- للدكتور مكرم تيطس بكوم امبو لتبرعه بأحد الأقساط المستحقة على هذا العدد.
- لأخ رفض نشر اسمه لتبرعه بقسطين لهذا العدد وقسط للعدد السابق.
- للمهندس إبراهيم إسكندر من أجل دعمه الفنى ، وغير الفنى لهذه السلسلة.
- للسيدة سلوى محارب لمجهودها التطوعي والمتميز في الكتابة الإلكترونية.

مجاهد فى الجبـَّـانة

أحلامك ستحقق يا " تفيدة " .. لن يأتى الشتاء قبل أن نكسو الأولاد ..
هكذا حدَّث " مجاهد " نفسه ، وهو يلقى ، فى الفجر ، على الأولاد النيام ، نظرة وداع .. بينما زوجته " تفيدة " تعطيه " صرَّة " الخبز اليابس ، وبعضاً من الجبن القديم .. مع دعائها الدامع له " بسكة السلامة " ، والعودة الميمونة ، و " جُبران الخاطر ".

كان " مجاهد " عاملاً باليومية .. غير فنِّى .. لكنه يمارس حرفة أجداده الأُول .. الذين صنعوا كفاً من الحجر ، حفروا بها الأرض .. يحمل كل يومٍ فأسه .. ويجلس على قنطرة قريتهم فى الصعيد ، مع أمثاله .. آملاً أن يمرّ عليه من يحتاج إليه ، فيستأجره للعمل عنده .. يعمل يوماً .. وينتظر الآخر بلا عمل .. وإن عمل مرَّة فى أحد الحقول .. عمل الأخرى فى حمل أتربة أو ما أشبه .. أما إن حالفته الظروف ، سافر مع مقاول للتراحيل للعمل فى حفر أساسات عمارة ، أو شق ترعة .. العمل فى هذه الحالة مستمرٌ .. والرزق مضمون لأيام طويلة.

وذات صباح مرّ على القنطرة " المعلِّم علاَّم " مقاول الأنفار .. توسَّم فى " مجاهد " الصحة والشباب ، فاختاره ، ضمن من اختارهم ، لترحيلهم للعمل عنده ، فى تطهير بعض المواقع المتناثرة فى " جبَّانة منف " .. وحدد لهم موعداً للسفر.

وفى لورى المقاول ، انحشر مجاهد ــ بعد أن ودع أولاده ــ بينما كانت ترتفع من الترحيلة أهازيج السفر ، والفراق ، وأحلام الرزق المأمول .. يقطعون بها الطريق الطويل .. يقودهم فى الإنشاد ، " الريِّس نغَّام ".

وصلوا قبل الغروب إلى موقع العمل .. حيث راحوا يرتبون أمر مبيتهم فى نُصُبٍ من الخيش ، أو فى العراء .. فالصيف مطارحه فسيحة .. تستر كثرة من الفقر ، وقِلَّةً من الغطاء.

وفى " جبَّانة منف " تنتشر الآثار المكتشَفة .. وأشهرها على الإطلاق أهرام الجيزة ، وأبو الهول .. وغيرها من الآثار الأقل شهرة .. وتختفى آثار

أخرى مدفونة ، مطلوب اكتشافها ، تحت مسافة تزيد عن تسعين كيلومتراً .. هى طول هذه الجبانة .. من " أبى روّاش " ، شمال مدينة الجيزة ، وحتى هرم ميدوم ، فى الشمال من محافظة بنى سويف.

وكانت قد رست على " المعلِّم علاَّم " عملية تطهير بعض الآبار الفرعونية التى أنشأها القدماء ، لتكون مقابر لملوكهم وأمرائهم ، فى هذه الجبانة الفسيحة .. لاسيما فى منطقة " سقَّارة " .. فكان يمضى بعمال التراحيل التابعين له .. مسافرين من موقع إلى موقع .. وقائمين بالعمل فى أماكن متباعدة .. نابشين الآبار .. بحثاً عن الآثار.

وبعض هذه الآبار كان من الاتساع بحيث يكفى لتمديد " سقالات " مائلة داخله ، تستخدم فى النزول والصعود .. وبعضها كان ضيِّقاً ، يتم النزول والصعود داخله ، بتبديل الأقدام على جانبى البئر ، مع الاستعانة بحبلٍ ، إن لزم الأمر.

وكان هذا النوع الأخير من نصيب " مجاهد " ، مع زميل له ، فى أحد المرّات.

ودائماً لا يحتاج اليوم الأول من العمل ، فى أىٍّ من النوعين ، إلى السقالات أو الحبال .. حيث يكون عمق الحفر صغيراً .. لذلك فتوفيراً للنفقات ، لا تأتى هذه " العدَّة " إلى موقع الحفر إلا فى اليوم الثانى ، وربما الثالث .. حين يصبح عمق الحفر كبيراً ، محتاجاً إليها .. وذلك حتى يُستفاد بها فى موقع آخر ، أحوج إليها فى هذا التوقيت .. إنها اقتصاديات التشغيل ، التى تحكم " توضيب العدة ".

شمَّر " مجاهد " عن ساعديه ، وربط ذيل جلبابه حول وسطه ، وابتدأ فى الحفر ، مستخدماً " الكوريك " .. وزميله يعاونه ، فينقل ما تم حفره من أتربة إلى الخارج.

وقبل نهاية اليوم ــ وهو أول يوم للحفر فى هذه البئر ــ كان عمق الحفر قد وصل إلى طول يتساوى مع طول " مجاهد " .. فكان بالكاد يستطيع ــ وهو

واقف داخل البئر ــ أن يناول " مقطف " الأتربة إلى زميله الواقف فــى الخارج .. على أن يتم الاستعانة بالحبل لرفع الأتربة ، فى اليوم التالى.

حتــى حــدث ما لم يكن فــى الحسبــان .. إذ مادت أرضيــة البئــر فجأة " بمجاهد " .. فقد كان هناك ــ على خلاف الآبار الأخرى ــ قَبْوٌ مهترئ من الطوب اللَّبِن ــ تحت قدمى مجاهد ــ يعمل كسقف لهذه البئر .. يخفى تحته فراغاً عميقاً .. لم يتحمل القبو " كوريك " مجاهد ، فانهار به.

صرخ " مجاهد " ، والقبو ينهار به ، هاوياً بسرعة ، إلــى عمقٍ لا يعلم مداه .. ولأن البئر كانت ضيقة ، فإن " مجاهد " كان يهوى ملاصقاً لجوانبها .. ولحسن ظروفه ، كان هناك نتوء حجرى ممتد مــن أحد جوانب البئر ، التقط جلباب " مجاهد " المعقود حول وسطه.

علِق " مجاهد " بالنتوء من جلبابه المعقود .. وتأرجح فى الفراغ .. بدلاً من وصوله إلى القاع ، والارتطام به.

اجتمع العمال حول الفتحة الضيقة للبئر ، ينادون على " مجاهد " .. صرخ بعضهم طالباً حبلاً .. أتاه الرد بأن الحبال لا تأتى فى اليوم الأول من الشغل.

" مجاهد " يستغيث وهو معلَّق .. زملاءه فى حيرة من أمرهم .. لا يملكون غير توجيه النداءات ، وإسداء النصائح.

نادى أحدهم ؛ أن اصعد يا " مجاهد " ، بتبديل قدميك على جوانب البئر ، مادام اتساع البئر أضيق من انفراجة رجليك.

شرع المسكين فى ذلك ، فإذ بجوانب البئر الهشَّة لا تتحمل حركاته ، وتهوى به .. فكان أن ثبت قدميه بسرعة فى جوانب البئر ــ متشبثاً بالنتوء الحجرى ــ دون حراك .. فكل حركة معناها هبوط أكثر لأسفل .. فكان يصيح :

- " إتْبَعْتْ ببلاش ياولاد .. يا حوستى ويا ورطتى ".

زملاؤه يردون عليه :

* ألا تسمعنا يا " مجاهد " .. نقول لك اصعد .. أم أنك غير مقتنع بنصائحنا.

● نصائحكم صحيحة .. أما أنا فعاجز .. إنى ثـــقيل .. مبيع ومحبوس داخل جدران ميئوس منها للبئر.

يهرع " المعلِّم علاَّم " ، مقاول الأنفار ــ مشكوراً ــ لمؤازرة " مجاهد " بالقول :

■ " شد حيلك يا مجاهد " .. واصعد.

بينما طبيعة البئر ، وجوانبه ، تهدر كل " حيل " لدى " مجاهد " .. وتجعله يصرخ :

● لست أصعد كما أريد أنا .. بل أنزل كما لست أريد.

" المعلِّم " ينادى :

■ لا .. لا تنزل يا " مجاهد ".

فيرد عليه " مجاهد " :

● لست أنا الذى أنزل يا " معلِّم " .. بل جوانب البئر هى التى تنزل بى.

" المعلِّم " يكرر :

■ لا تستسلم يا " مجاهد " .. بل لتكن عندك إرادة.

" مجاهد " يرد :

● الإرادة حاضرة عندى يا " معلِّم " ، وأما أن أصعد فلست أجد لذلك سبيلاً .. لأنى حينما أريد أن أصعد أجد النزول جاهزاً عندى ، وحادثاً لى.

■ بل اصعد يا " مجاهد ".

● " أحَبّ ما علىَّ " .. فأنا أُسر لو استطعت تنفيذ كلامك .. لكن للبئـــر نظاماً وقانوناً آخر .. يحارب رغبتى .. ويحبسنى داخل جدرانه القاتلة.

كل هذا و " الريِّس نغَّام " مشغول بترديد مواويله .. حتى يصل إلى المقطع الذى يقول :

بأغنـــــى ع الأرغـــــول
وارفـــــع راياتـــــى واقـــول
رايـــــة مجاهـــــد لفـــوق
ولتحـــت رايـــــة العـــذول

باعلـــــن لكل الأنـــــــام
إعـــــلان مؤكـــد تمـــام
أســـــوار مجاهـــد منيعـــة
وسْـــــور الأعـــــادى حطام

يقاطعه صوت " مجاهد " :

- " فى عرضك يا " ريِّس نغَّام " .. رايات إيه .. وإعلان إيه .. وأسوار إيه .. أنا ف إيه واللا إيه " ؟.

وبينما يذهب " المعلِّم علاَّم " لإحضار حبل .. والجميع فى هرج ومرج .. كانت هناك بعثة آثار أجنبية ، تضم خبراء وعلماء متخصصين ، تمر فى الصحراء .. فلما استشعرت حركة غريبة ، وسمعت أصوات الاستغاثة ، انتحت بسياراتها صوب الموقع .. وما أن عرفوا بالأمر ، حتى ارتسم البِشْر على وجوههم.

علا صوت العمال المصريين ، غضباً واحتجاجاً على هذا الانشراح المفاجئ الذى أصاب أعضاء البعثة " الخواجات " .. وصرخوا :

* أهذا وقت ضحك ؟.

** إن لم يكن لديكم حبل فاسكتوا .. أو فانصرفوا.

*** " يا عم دول خواجات .. مش حاسِّين بينا ".

أطل أحد الخبراء من فتحة البئر .. وقال بلغة عربية مكسَّرة :

▲ لا تخف يا " مجاهد ".

● أريد أن أصعد.. فمن ينجدني من هذه البئر؟.

▲ لن تصعد يا حبيبى.

● " حرام عليك يا خواجا ".

والعمال فى شدة الحنق ، قال خبير آخر :

❖ انزل يا " مجاهد ".

انفعل " حربى " ، وهو أحد أنفار الترحيلة ، من قول الخبير هذا ، فاندفع للاشتباك معه .. منعه عامل زميل عن التمادى فى ذلك .. والخبير يواصل :

❖ كلما أردتَ الصعود يا " مجاهد " ، نزلت أكثر .. فالجدران هشة.

● " ما أنا عارف يا خواجا .. لكن أعمل إيه " ؟.

❖ قلت لك انزل .. وفى نزولك لن تنهار الجوانب بك ، لعدم وجود مقاومة احتكاك .. هذه المقاومة تحدث فقط أثناء الصعود ، فتتسبب فى انهيار الجوانب.

● ولكن إلى أين ؟.

❖ إلى القاع.

● " وبعدها لك يا خواجا " .. هل أبيت ليلتى هناك ، حتى يأتينى حبل فى الصباح ؟.

❖ بل ستبيت فى بيتك .. وإن لزم الأمر ففى المستشفى.

● " مش فاهم يا خواجا .. هوَّ فيه مستشفيات تحت " ؟.

❖ على العموم مبروك يا " مجاهد " .. ستأخذ مكافأة .. أنت محظوظ ونحن مثلك .. إن هذه البئر تختلف عن غيرها .. فباقى الآبار كانت للتضليل .. أما هذه فمقبرة فرعونية حقيقية .. تضم تابوتاً لملك ، أو لأحد الأمراء.

● وفيم يفيدنى التابوت يا " خواجا " .. أم ترانى سأُدفن فيه ؟.

❖ كلا .. بل إنك ستجد فى القاع سرداباً أفقيا .. يؤدى بك إلى حجرة الدفن ــ حيث التابوت ــ بعدها ستجد دَرَجاً ينتهى بك إلى السطح ، فى دقائق معدودات .. فقط عليك أن تنزل.

● النهار قد مال يا خواجا.

❖ لا تخف يا حبيبى .. انزل.

● والجثة داخل التابوت ؟.

❖ لا شأن لك بالجثث.

● والظلام أسفل البئر ؟.

❖ الطريق سهل كأنه منير.

● على عهدتك يا خواجا ؟.

٧ على بركة الله.

وفى ثوان كان " مجاهد " فى القاع .. دالفاً منه إلى السرداب .. عابراً غرفة الدفن .. مارقاً إلى السلم المؤدى إلى السطح (١) .

ولما اختفى صوته رفع الخبراء رؤوسهم عن فتحة البئر .. وأداروا أبصارهم فى الخلاء الفسيح ، بحثاً عن الجهة المحتمل أن تكون فيها فتحة نهاية الدرج .. والمتوقع خروج " مجاهد " منها.

انتشر العمال حول البئر فى كل الاتجاهات ينادون على مجاهد .. ويتنصَّتون على الرد ، الذى أتاهم هزيلاً .. من تحت الأرض .. من فتحة صغيرة لا تكاد تُرى.

كشف العمال الرمال حول هذه الفتحة .. وأزالوا طبقة بسيطة من الرديم ، كانت تسد مدخل السلم .. ليخرج مجاهد كالفرخ الخارج من البيضة ، أو كميت خارج من قبره.

---

(١) انظر ملحق رقم ١ .. وهلم جراً.

لم يكفّ زملاؤه عن احتضانه وتهنئته ، إلا بعد أن انتزعه الخبراء من بين أيديهم ، ودفعوه إلى إحدى سياراتهم ، مسرعين به إلى أقرب مركز إسعاف.

يعود " المعلِّم علاَّم " ومعه الحبل وبعض الأدوات اللازمة .. ليجد أن المشكلة قد حُلَّت .. وكل شيئ قد انتهى ، على أحسن وجه .. بدون نصائحه ، أو حباله.

ووسط مشاعر أهله الدافئة ، صعب على " مجاهد " **عجزه** عن تحقيق أحلام " تفيدة " .. لكنها شرعت تواسيه بالقول :

♥ " صحتك بالدنيا ".
● وكسوة العيال.
♥ **" هوّ عرقك وشقاك فى التُّرب كان ها يكسى العيال .. دى حتى الكسوة اللى جايَّة م التعب فى الجبانة فالها وحش .. ما تلزمناش ".**

يؤمِّن " مجاهد " فى صمت على قولها ؛ بأن الجهاد فى الجبَّانة ، " عمره ما يكسى العيال " .. ويمضى بخياله إلى المكافأة التى وعدته البعثة بها.

ويروح بعد ذلك يردد فى كل مكان قصته العجيبة هذه .. عازماً على عدم العودة مرة أخرى إلى هذه الجبَّانة .. تاركاً من يريد من زملاء الترحيلة ، أو من رؤساء العمال ، أو من مقاولى الأنفار ، أن يعود هو إليها كما يشاء .. مسافراً من موقعٍ إلى موقع ، ونازحاً من مقبرة إلى مقبرة .. مكافحاً على حوائط البئر ، ومناضلاً على جوانب الحفرة .. مصارعاً بين عظام الموتى ، **ومجـــاهـــداً** بين أشلاء الراحين.

****

تلك هى قصتى .. وقصتك أيها القارئ العزيز .. وقصة كل مجاهد مجتاز فى صراع (رومية ٧) .. بدءاً من أصغر أو أضعف مؤمن .. وحتى أعظم الرسل.

فما المقصود " بجبَّانة منف " مترامية الأطراف ــ فى قصتنا هذه ــ والتى تشمل كافة أنواع المقابر ــ بدءاً من الأهرام ، وحتى أصغر حفرة ــ إلا الطبيعة البشرية الساقطة فى مجموعها.

وما المقصود بالبئر التى كانت من نصيب " مجاهد " إلا حصَّة الفرد من هذه الطبيعة .. نصيباً له ــ أو قل ؛ ميراثاً مفروضاً عليه ــ من أبينا آدم .. ولا فكاك منه .. وهذا بخلاف ما يضيفه الفرد من رصيد ــ إلى هذا الميراث ــ بخطاياه الفعلية [٢] .

وليتها كانت مقابر وهمية ــ كمقابر التضليل الفرعونية ــ بل هى مقابر حقيقية ــ كالتى سقط فيها " مجاهد " ــ ولكن بالمفهوم الروحى .. يكتب عنها نبيَّان من العهد القديم ، ورسول من العهد الجديد .. فداود يكتب : " جوفهم **هوَّة** .. حلقهم **قبرٌ** مفتوح " (مز٥:٩) .. وإرميا يقول : " جعبتهم **كقبر** مفتوح " (إر٥:١٦) .. والرسول بولس يؤيد هذا بالقول : " الجميع (يهوداً وأمماً) .... حنجرتهم **قبرٌ** مفتوح " (رو٣:١٢، ١٣).

فالجوف هوَّة عميقة حبلى بالخبايا المستورة .. والجعبة ، والحنجرة ، والحلق ، قبور مفتوحة ، تتمخض بالخطايا المكشوفة .. فى هذه الجبَّانة المعنوية.

هذه الجبَّانة المعنوية هى جوهر الطبيعة الساقطة **الواحد** فى كل البشر .. كل ما هنالك من اختلاف ، هو فى الشكل الذى يكون عليه نصيب الفرد من هذا الجوهر .. مثل الاختلاف بين أشكال قبور " جبانة منف " الحرفيَّة .. فتجد من كان قبره كالهرم .. يتخذ شكلاً هندسياً فريداً وجميلاً .. ويخفى ما بداخله تماماً ــ فلا أحد حتى الآن يعرف فحواه ــ بينما تجد قبر الآخر حفرةً عارية قميئة ، تكشف بسهولة عما بداخلها من فساد وعفونة .. وبين هذا وذاك تنوعت الأشكال ، والموت واحدٌ .. وقد أشار الرسول بولس إلى هذا الاختلاف عندما

كتب : " خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء " ، أى أنها مكشوفة .. " وأما البعض فتتبعهم " ، أى أنها مقنعة لا تتكشف إلا بعد مرورهم ، أو بالحرى بعد مرور الزمن (١تى٥:٢٤).

وقد نجح الفريسيون فى تجميل قبور طبيعتهم ، وإخفاء دفينها .. حتى أن الرب قال لهم : " ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مُبَيَّضَةً تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة " (مت٢٣:٢٧).

وكانت هذه النجاسة ، نجاسة حرفية ـ بمنظور العهد القديم ـ حيث كان كل من القبر ، أو الإنسان الميت ، أو القتيل ، أو العظام البشرية ، يُعتبر نجاسة .. وكل من مسَّ أياً منها يكون نجساً (عد١٩:١١-١٦) .. حرفياً وطقسياً.

والمدهش أنه يكون نجساً **سبعة أيام** .. بينما من مسَّ شيئاً نجساً (بخلاف الإنسان الميت) مثل جثة وحش ، أو جثة بهيمة ، أو جثة دبيب ، يكون نجساً ، **إلى المســاء فقط** .. طاهراً كان هذا الحيوان (لا١١:٣٩،٤٠) .. أم مكروهــاً (لا١١:٢٣،٢٤) .. أم نجساً (لا١١:٢٧).

فالإنسان الميت ـ فى العهد القديم ـ كان ينجس الحىَّ لمدة سبعة أيام .. بينما جثة الحيوان ، أو الدبيب ، تنجسه لأقل من يومٍ واحد .. حتى لو كان جثَّةً لابن عرسٍ .. أو جيفةً لحرباء (لا١١:٣١).

كيف تكون جثة ابــن العرس ـ رغم لؤمه ـ وجثة الحرباء ـ رغــم تلوُّنها ـ والاثنان ـ رغم كونهما **من الدبيب النجس** ـ تنجس ملامسهما **نجاسة محدودة** ، يشار إليها بعدة ساعات .. بينما جثة الإنسان أو عظامه ـ رغم كونه **تاج الخليقة الأولى .. لا حيواناً نجســاً** ـ تنجس ملامسها **نجاسة كاملة** ، يشار إليها بأيام سبعة ؟.

إن فى ذلك لإيماء صريحاً إلى أن الإنسان (بعد السقوط) أنجس ـ أدبياً ـ من الحيوان.

لماذا ؟ .. لأن الإنسان ــ بسقوطه ــ صار يحمل الطبيعة العاصية المتمرِّدة على الله .. الشيئ الذى لا يتواجد فى الحيوان .. ولو كان حيواناً نجساً ، بمقياس العهد القديم.

كم يكون الحال معى إذاً ، عندما لا ألامس فقط جثة الإنسان أو قبره ــ أو بالحرى ما يشيران إليه معنوياً ــ حتى أتنجس ، بل أجد أيضاً هذا القبر ــ رمزياً ــ داخلى .. أى داخل جســـــدى ؛ ألا وهو الطبيعة القديمة العاصية .. وأجد هذا القبر محتوياً على ما فصَّله الرسول ــ بعد أن ذكر أن " حنجرتهم قبرٌ مفتوح " ــ عندما أردف : " بألسنتهم قد مكروا . سمُّ الأصلال تحت شفاههم. وفمهم مملوء لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم. فى طُرقهم اغتصاب وسحق. وطريــق السلام لــم يعرفــوه. ليــس خــوف الله قدام عيونهــم " (رو٣:١٣:١٨) .. سبع صفات نجسة .. وقد رأينا سبعة أيام نجاسة .. مما يؤكِد **نجاسة الإنسان الكاملة** ، بالمقياس الإلهى .. " لأن فى قلبه (الإنسان) سبع رجاسات " (أم٢٦:٢٥).

كل هذا الشر ــ وغيره ، مما يصعب ، حرفياً ، حصر أنواعه ــ موزَّع على مقبرتى ، ومقبرة غيرى.

إلا أننى ــ بإيمانى بالمســـيح ــ قد اكتسبت طبيعة جديدة .. وتمتعت بسكنى الروح القدس .. وأصبح الله يعتبرنى ، كإنسان عتيق ــ حاملاً هذه المقبرة داخلى ، بكل ما فيها من عصيان ونجاسة ــ ميتاً شرعاً .. وقد حسب لى براً شرعيًا هو المســـيح نفسه .. الذى صار لنا من الله " .... برًا (شرعيًا) وقداســة (شرعية) .... " (١كو١:٣٠) [٢] .

صار لى كل هذا ، وغيره من البركات والامتيازات الروحية .. ولكن دون اجتــثاث لهذا القبر منِّى .. أو سحب للجثث منه .. أى دون نزع الطبيعة القديمة من جسدى.

فأجد نفســى ــ كشخص تمتع بهذا التبرير الحسابى ــ أريد أن أعيش بالبر

العملى ــ وكشخص نال ما نال من طبيعة جديدة ، وغيرها من الامتيازات ــ أريد أن أعيش بما تمليه علىَّ هذه الطبيعة الجديدة من ناموس ؛ هو " ناموس ذهنى " (رو٧:٢٣) (٣) ــ وكشخص تمتع بسكنى الروح القدس ــ أريد أن أفعل ما يهفو إليه الروح القدس داخلى من إظهار لثمره (غل٥:٢٢،٢٣).

إننى والحال هكذا ، أحب من كل قلبــى .. وأرغب مــن كل نفســى .. وأود بكل إرادتى ، أن أفعل الحسنى .. ظاناً أننى بحصولى على الطبيعــة الجديدة ، والتبرير الشرعى ، وغيره من الامتيازات ، قد خلا جسدى مــن الخطية .. فإذ بى ــ بسقوطى ــ أصطدم بهذا الاكتشــاف الأسيف ؛ وهو أن هذه المقبــرة الدفينة حاضرة ــ أى مستمرٌ وجودها ــ داخلى .. وأنها لا تُستأصل ، ولا تُردم ، ولا تعالج .. بل هى ضربة طريَّة لا تُعصر ولا تُعصب ولا تُليَّن بالزيت (إش١:٦) (٢).

فإرادتى ورغبتى فى فعل الحسنى شيئ .. واستمرار وجود الطبيعة القديمة فىَّ شيئ آخر .. وحضور (أى تواجد) الإرادة المقدسة عندى ، لا يلغى حضور (أو تواجد) الطبيعة القديمة فىَّ ، بكل ما تتشئه من شــر .. **فالإرادة " حاضرة عندى "** (رو٧:١٨) .. **والشر أيضاً " حاضر عندى "** (رو٧:٢١) .. وإن كان قد تولَّد لدىَّ ــ بإيمانى ــ ناموس ؛ هو " ناموس ذهنى " (رو٧:٢٣) ــ وهو يتوافق ، أدبياً ، مع ناموس الله ــ إلا أنه لا يزال هناك فــى أعضائى ناموس آخر ؛ هــو " ناموس الخطية " (رو٧:٢٣) .. الذى يحارب " ناموس ذهنى " (رو٧:٢٣).

مــن هنــا يــبــدأ الصـــــــــــراع

ومن هنا تبدأ محاولاتى فى حسمه .. وفرض حضور الإرادة علــى حضور الشر .. وتغليب " ناموس ذهنى " على " ناموس الخطية الكائن فى أعضائى " .. كى أسمو أدبياً فوق نوازعى الشريرة.

أو بلغة تشبيهنا ؛ أحاول الصعود إلى أعلى فى مقبرة طبيعتى القديمة .. علَّنى أخرج منها.

ومثل " مجاهد " الذى كان كلما يريد أن يصعد يجد جوانب البئر هشة .. تهبط به إلـى أسفل .. أجد نفسـى أنا أيضاً فى هذا الصراع ــ صـراع (رومية ٧) ــ أجاهد .. علَّنى أفلح .. فإذ بى " حينما أريد أن أفعل الحسنى " .. وأرتقى أدبياً .. صانعاً الخير .. وصاعداً فى مدارجه .. " أجد الشر حاضراً عندى " .. فى جوانب بئر طبيعتى المهترئة الفاسدة.

إنها طبيعة تكوين هذه البئر ، ولا مندوحة منها .. والنتيجة ؛ " أنى لست أفعل الصالح الذى أريده " (بحسب ناموس ذهنى ، ورغائب الطبيعة الجديدة) .. بل " الشـر الذى لسـت أريده فإياه أفعل " (رو٧:١٩) .. لذلك " فلست أفعله (الشر) أنا " بل جوانب بئر النفس البشرية ــ أقصد " الخطية الساكنة فىّ " (رو٧:٢٠) ــ هى التى تفعله.

لا حلَّ عندى .. ولا حيل عند زملائى .. فهم فى الهمِّ مثلى .. كلٌ فى بئره يجاهد محاولاً الصعود .. مكتشفاً العجز .. منتهياً بالخيبة .. فيا للشقاء.

وفى هذه المعمعة ، ينبرى " الريِّس نغَّام " ــ منفصلاً عن الواقع .. وإن كان بإخلاص ــ زاعقاً فى إنشـاده عـن رايات مرفوعة .. وانتصارات مزعومة ، على جيوش مهزومة .. وأمجاد معلنة .. " مازجاً السمك باللبن بالتمر هندى " ، كما يقول المثل.

هكذا أدخل بعض ــ وأكرر ؛ **بعض** ــ الاجتماعات ، فأجده (الريِّس نغَّام) يقود مجموعة من المهللين .. **معلنين نصرهم** .. لا هم أخبرونا عن أى نصر ينشدون .. ولا على أى عدوٍّ هم منتصرون .. ولا لمن مـن الخلائق يعلنون .. ولا كيف يخرج إعلانهم خارج جدران الاجتماع.

الأعداء فى ترنيمهم هلاميون .. " جسدٌ " .. مخلوط مع " أسوار " .. مخلوط مع " شيطان " .. مخلوط مع مجهول !! .. لا تعرف أيهم يقصدون.

والانتصار فى شدوهم مبهم .. لا تعرف كيف يقاس .. ولا متى يُعتبر انتصاراً [٤] .

والإعلان فى إعلامهم هو إعلان عن أنفسهم (٥).

فأجدنى وأنا لم أزل بعد فى بئرى ـ مثل " مجاهد " ـ منفصلاً عنهم .. وواقعاً فى حَيْص بَيْص .. متسائلاً بينى وبين نفسى ؛ أهُم حقاً خرجوا من بئر ذواتهم حتى يهتفوا هكذا ؟ .. أم أنهم يقصدون نصراً آخر أجهله ؟ .. أم يسايرون الرَّكْب خلف " الريِّس نغَّام ".. مشاركين المذكورين فى (١تى١:٧) .. فى كونهم يتشدقون بما لا يفهمونه .. ويهللون بما لم يختبروه ؟ .. وهل يجب الإعلان عن نصرتى على الخطية ، إن كنت قد انتصرت فعلاً .. فأكون مثل المذكورين فـــى (أم٢٠:٦) ، المعلنين عن صلاحهم ؟ .. ولمن أعلن ذلك ؟.

أما " المعلِّم علاَّم " ـ سامحه الله ـ فهو مما يزيد من محنتى .. أجده فـــى اجتماعات أخرى يقف ينصحنى ـ وإن كان بإخلاص أيضاً ـ أن اشحذ الهمة .. وانهض العزيمة .. وارفع من درجة الجهاد .. وصعِّد من وطيس الحرب .. بأن "شد حيلك يا مجاهد " .. **واصعد من البئر .. وعلى قدر جهادك يكون صعودك** .. فمن جدَّ وجد .. أو يحفزنى بلغة الكتاب ـ إن كان قد درس الكتاب ـ بأن " جاهد جهاد الإيمان الحســـن " (١تى٦:١٢) .. " وتشدد وتشجع " (يش١:٦) .. اشدخ صدغ سيسرا (قض٥:٢٦) ، واطعن بطـــن عجلون (قض٣:٢١) .. اذبح غراباً على صخرة غراب (قض٧:٢٥) ، واهلك ذئباً فى معصرة ذئب (قض٧:٢٥) .. اسقط أسوار أريحا (يش٦:٢٠) ، واهدم برج فنوئيل (قض٨:١٧) .. و " اصنع ببأس فى أفراته وكن ذا اســـم فى بيت لحم " (را ٤:١١) .. والرب معك يا جبار البأس (قض٦:١٢) .... إلى آخر هذه الأقوال .. وهى ـ وأمثالها ـ أقوال كتابية لا جدال .. ما هو منها من العهد القديم ، له ـ **منفرداً** ـ مدلوله الروحى فى العهد الجديد .. لكن فى غير هذا المجال ؛ مجال (رومية ٧) .. كذلك ما هو منها من العهد الجديد .. وتطبيقها لا يكون فـــى هذا الميدان .. واستخدمها هنـــا ـ **وبالجملة** !! ، فـــى صراع (رومية ٧) ـ يحولها إلى تهويمات غامضـــة .. ويصنع منها توليفة ممسوخة .. إن أخذنا بها ، رحنا فى غيبوبة فكرية (أم٢١:١٦) .. وطفقنا نستعيض عن ذلك

برفع العقيرة — فى عبادتنا — والتلويح بالأيادى ، والدقِّ بالأرجل — فى ترنيمنا — وربما بما هو أكثر .. مع احترامنا لكل من يرفعون العقيرة ، ويلوحون بالأيادى ، ويدقُّون بالأرجل .. إن كان هذا ناتجاً عن عمل الروح القدس .. وليس تعويضاً عن خواء فكرى .. أو تغطيةً لهزيمة لا يُراد الإقرار بحدوثها .. أو إيحاءً بنصر وهمى لم يحدث.

فالجهاد — فى قضيتنا التى نتناولها الآن — هو مع جدران هشَّة للبئر ، لا يجدى معها جهاد .. والبأس — هنا — هو فى مواجهة جوانب هائرة للحفرة ، لا ينفع معها بأسٌ ، ولا تتحمل أى حركة (إذ أن معامل الاحتكاك فيها يساوى صفراً ، كما سيأتى ذكره) .. والخروج من قبضتها لا يتم بإرادتنا الحاضرة .. ولا بعزيمتنا الصادقة .. ولا بمحاولاتنا المخلصة .. ولا بجهادنا المستميت .. الأمر الذى لا يقبله الذهن البشرى .. لأن هذا الذهن يعظم الذات .. ويضخم من قدراتها .. ويصعب عليه أن يعترف بهذه الحقيقة ؛ وهى أن فاه هذه البئر أوسع من قدرات الذات .. وقاعها أعمق من إمكانياتها .. وأن لها القدرة على ابتلاع الجميع .. إنها كالهاوية (أو المقبرة فى بعض الترجمات) ابنة للعلوقة (إحدى الطفيليات) " لا تشبع ولا تقول كفى " (أم٣٠:١٥).

العيب إذاً ليس فى فتور عزيمتى .. أو فى وهن إرادتى .. أو فى قلة محاولاتى .. أو فى ضعف جهادى .. فهذه كلها — من عزيمة قوية ، وإرادة صلبة ، ومحاولات دؤوبة ، وجهاد مستميت — موجودة **وحاضرة** عندى .. بخلاف ما يظنَّه فىَّ " المعلِّم علاَّم وشركاه " .. لكن العيب — كل العيب — هو فى جوانب البئر ؛ أى مخادع النفس .. فمعها ، عبثاً يجاهد المجاهد .. وباطلاً يكافح المكافح .. إن كل حركة منه فى جهاده ، تهوى به درجةً إلى أسفل .. فيظل ، مثل " مجاهد " ، معلَّقاً داخل البئر .. محصوراً بين جوانبها .. حتى يصل إلى درجة الفشل من جهاده .. واليأس من نصائح زملائه في الترحيلة .. والشك فى أوهام " الريِّس نغَّام " .. والشقاء مــن تعليم " المعلِّم علاَّم " .. فيتأسَّى على نفسه قائلاً : " **اتبَعْت** ببلاش ياولاد .. يا حوستى ويا ورطتى " ..

أو بلغة الرسول : " أما أنا فجســدى مبيع تحت الخطية " (رو٧: ١٤) .. فيطلق آخر صيحة له .. مثل البجعة ، التى تطلق أعلى صيحة لها ، قبل أن تموت .. فيصيح : " ويحى أنا الإنســان الشقى . من ينقذنى من جســد هذا الموت " (رو٧: ٢٤).

وقتها توافيه السماء بالحل .. كما وافت البعثة الأجنبية " مجاهد " .. فى مفهومها الذى يسمو علـــى مفهومه ــ مع أقرانه ــ ولا يعتدّ بأوهام " الريِّس نغَّام " .. ويخالف تماماً نظرية " المعلِّم علاَّم " .. فهى لا تبيع له الوهم .. ولا تقدم له مساعدة .. ولا توفر له حبلاً .. إذ أنها لا توافق ، أصلاً ، على مبدأ الصعود عن طريق الجهــاد .. لعدم جدوى ذلك كله .. فأفكارها ليســت كأفكار " مجاهد " ، وزملائه ، ومعلِّمه .. وأسلوبها ليس كأسلوبهم .. لكنها وإن كانت لا تصادق على جهاد " مجاهد " .. إلا أنها ، فى الوقت نفسه ، تلبِّى استغاثته: " من ينجدني؟ " .. وتوافيه بالمخرج السعيد ، الذى لا يعتمد على جهاده مع جوانب هشَّة للبئر .. بل على النزول ، للوصول إلى السلَّم .. والصعود على أرضية صلبة له .. لا تُطَبَّق عند الصعود عليه (السلَّم) نظرية (أو ناموس) الاحتكاك ، بين قدمى مجاهد وجوانب البئر الهشة .. بل تُطَبَّق نظرية (أو ناموس) " نيوتن " للفعل ورد الفعل ، على أرضية السلم الصلبة.

وما أبعد الفرق بين النظريتين .. وما أوسع البَوْن بين الناموسين.

فقانون الاحتكاك يعطى مقاومة للسطح تساوى الوزن مضروباً فى معامل الاحتكاك.

ولما كانت جوانب البئر هشَّة ، ومعامل الاحتكاك فيها يساوى صفراً ، لذلك فإن مقاومة سطحها لوزن " مجاهد " تساوى وزنه مضروباً فى صفر .. أى تساوى صفراً .. بمعنى أن تحمُّلها لوزن " مجاهد " يساوى صفراً .. مما يجعلها تهوى به إلى أسفل ، كلما حاول الصعود.

أما قانون نيوتن ، فيقول أن الفعل يساوى رد الفعل .. بمعنى أن قدم مجاهد

تنقل وزنه **كاملاً** إلى أسفل ، إلى درجة السلم .. هذا هو الفعل .. ثم يكون لدرجة السلم رد فعل مساوٍ لوزن مجاهد **كاملاً** ، يرفعه إلى أعلى.

فإن كان وزن مجاهد هو ٧٠ كيلوجراماً **لأسفل** ، فإن رد فعل درجة السلم هو ٧٠ كيلوجراماً **لأعلى** ، بالتمام والكمال ، دون أى فاقد .. فالنسبة بين الفعل ورد الفعل فى قانون نيوتن إذاً تساوى ١٠٠% .. مما يرفع مجاهد لأعلى كلما بدّل بقدميه على درجات السلم .. دون أى فاقد من جهده أو طاقته .. بينما كانت هذه النسبة ــ أو بلغة أخرى ، كان معامل الاحتكاك ــ على جوانب البئر الهشة هى صفرٌ فى المائة .. مما جعل من المستحيل على مجاهد أن يصعد ــ تطبيقاً لقانون الاحتكاك ــ شعرة واحدة لأعلى .. مهما بدّل بقدميه أو يديه .. بل على العكس ، كان كلما يريد الصعود ، يجد الهبوط حادثاً له.

إن لم يكن العيب فى إرادة " مجاهد " .. أو رغبته .. أو عزمه .. أو عزيمته .. أو كفاحه ــ كما سبق وأشرنا ــ أفيكون العيب إذاً فى قانون الاحتكاك ؟.

كلا أيضاً .. فهو قانون صحيح ، موضوع ليتعامل مع أسطح لها معامل معتبر للاحتكاك.

أما أن يكون معامل الاحتكاك يساوى صفراً ، فهنا مربط الفرس.

العيب إذاً ليس فى قانون الإحتكاك .. بل ــ كما سبقت الإشارة هو ــ فى جوانب البئر الهشّة ، التى لا يزيد معامل الاحتكاك فيها عن صفرٍ ، بأى حال من الأحوال .. والتى بالتالى لا تستطيع أن ترفع " مجاهد " تطبيقاً لقانون (أو ناموس) الاحتكاك .. مما يجعل " مجاهد " محتاجاً إلى قانون آخر مثل قانون (أو ناموس) " نيوتن " للفعل ورد الفعل .. يبتعد " بمجاهد " تماماً عن جوانب البئر الخربة ، وجهاده الفاشل معها .. ويأخذ به إلى درجات السلم المتين ، التى ترفعه لأعلى تطبيقاً لهذا القانون (أو الناموس) الجديد.

ناموسان مختلفان ــ مع أن كلاهما صحيح ــ بل ومتعاكسان ، فى حالة

" مجاهد " وأمثاله .. لذلك لا يمكن لمجاهد أن يخضع لهما معاً.

هكذا المصارع فى (رومية ٧) ، ثم فى (رومية ٨) .. أمامه ناموسان ؛ هما **ناموس الله** (رو٧: ١٤) ــ ممثّلاً فى الوصايا الأدبية ، (الذى شبهناه بقانون الاحتكاك) ــ " **وناموس روح الحياة فى المسيح يسوع** " (رو٨: ٢) ، (الذى شبهناه بقانون " نيوتن ") .. ولا يمكن لهذا المصارع أن يخضع لكليهما معا ، فى وقت واحد .. فإما أن يخضع لواحد ويترك الآخر .. وإما يخضع للآخر ويترك الواحد.

فإن التزم بالناموس الأول ــ ناموس الله ــ باء بالفشل والهزيمة !!.

عجيب !! .. أيؤدى ناموس الله ، ومحاولة الخضوع له إلى الهزيمة ؟ .. نعم .. كيف ؟ .. إنه يطالبنى بالصعود أدبيًا .. ولا يمكن أنّ من يطالبنى بالسموّ يكون رديأً .. حاشا .. بل لأنه ناموس الله ، فهو " مقدس " (رو٧: ١٢) .. و " روحى " (رو٧: ١٤) .. و " صالح " (١تى١: ٨) .. ووصاياه " مقدسة وعادلة وصالحة " (رو٧: ١٢) .. لكن لمن ؟ .. لمن " يستعمله ناموسياً " (١تى١: ٨) [٣] .

فإن كنت لا أقدر على تنفيذه ــ ناموسياً ــ فالعيب إذاً ليس فيه ، بل فىَّ .. والسبب هو جوانب النفس البشرية التى تجعل مقاومتى للهبوط ــ أو بالحرى قدرتى على الصعود ، والسمو إلى مستوى مطاليب هذا الناموس ــ تساوى صفراً .. فتهدر إرادتى الحاضرة .. ورغبتى المخلصة .. وعزيمتى الصادقة .. وجهادى المستميت .. " لأنه ما كان الناموس (ناموس الله) **عاجزاً** عنه فيما كان (أو فيما كنت) **ضعيفاً بالجسد** .... " (رو٨: ٣) .. " فالجسد ليس خاضعاً لناموس الله " .. والسبب ؛ " لأنه أيضاً (أى لو حاول) لا يستطيع " (رو٨: ٧) .. فالعجز فىَّ .. والضعف فى جسدى.

أما الناموس الآخر ــ " ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع " (رو٨: ٢) فإنه ــ بعد إعلان فشلى ــ يقدم لى ما يشبه ردّ الفعل لرغبتى

المخلصة ، وإرادتى الحاضرة ، وعزيمتى الصادقة .. ويرفعنى ـــ ليس فقط مثل سلم الجبانة ، بل بالأحرى ، مثل السلّم الكهربائى ـــ دون أى إهدار لطاقتى .. أو بالحرى دون استخدام لهذه الطاقـــة أصلاً .. إذ يرفعنى رفعاً ، ويحملنى حملاً ، إلى أعلى ، دون أدنى مجهود منى .. فأفعل الصالح الذى أريده .. دون الإحســـاس بأى **ثقل** .. واختبر قـــول الكتـــاب : " ووصاياه **ليســـت ثقيلـــة** " (١يو٥:٣) .. فأجدنى منفذاً إياها تلقائياً .. ليس بطريقة ناموسية تعتمد على جهادى ، بل بخضوعى لهذا الناموس الجديد ؛ " ناموس روح الحياة فى المســـيح يســـوع ".

اختيار الناموس الصحيح إذاً ـــ وليس الجهاد ـــ هو الفيصل بين الهزيمة والانتصار.

هذا ، وإن قلنا أن اختيار الجهاد على جوانب البئر هو اختيار خاطئ .. وأن الجهاد فى هذه الحالة هو جهاد فاشل .. وكانت نصائح الخبراء لمجاهد ؛ أن **انزل** يا مجاهد .. فهل معنى هذا أننا ننادى بأن **ننزل أدبياً** .. أو نترك العنان لأنفسنا ، فنسقط فى بئر الخطية كما نريد .. أو على الأصح ، كما تريد الخطية الساكنة فينا ؟.

كلا طبعاً .. فلا أحد يشجع على ـــ أو ينادى بـــ ـــ النزول فى سلم الأدبيات إلى درجة أعمق .. لكن الكلام عن النزول هنا ، لا ينصرف إلى الأدبيات ، بل إلى الجهاد نفسه.

فالنزول إلى القاع ، فى تشبيهنا ، ليس المقصود به التدنِّى إلى درجات سفلى فى سلم الشر .. أو الهبوط إلى قاع أدنى فى دَرَج الخطية .. فالخطية لا قاع لها .. ولا حدود لشرها .. وإن كان لشرها حد ، فأقصى حدٍّ لها ، أو بالحرى ، أدنى درجة ظهرت بها ، فى أبشع كيفية ، وعلى مستوى التاريخ كله ، كانت فى صلب الرب يســـوع .. هذا هو قاع الخطية، إن كان لها قاع .. ولا أحد ، بالطبع ، ينادى بالوصول إلى هذا القاع .. إنما المقصود بالنزول هو

وصولنا إلى قاع الجهاد نفسه .. واختبارنا نهاية ذواتنا .. وتسليمنا بعجزنا .. وإقرارنا بفشلنا .. ورفعنا للراية البيضاء ، إعلاناً لإفلاسنا .. وطلبنا لنجدة خارجية توافينا .. وليس المقصود هو النزول إلى قاع الشر والخطية ، بأى حال من الأحوال.

هذا وإن قلنا أن اختيار الناموس الصحيح هو الفيصل بين الهزيمة والانتصار .. سنجد أننا فى حقيقة الأمر لا نصل إلى هذا الاختيار بمفردنا .. كل ما نستطيع أن نصل إليه هو الوصول إلى قاع جهادنا .. ونهاية ذواتنا .. ثم الصراخ طلباً للإنقاذ.

وكما كانت البعثة الأجنبية هى الوحيدة التى وافت " مجاهد " بالحل .. وقادته ــ بعدما استغاث ــ إلى سواء السبيل ، بإرشادها إياه إلى وجهة أخــرى .. ونصيحتها له باختيار نامــوس آخــر ، يخالف ويعاكــس كل فكر أو جهــاد " لمجاهد " .. أو غير مجاهد ، من رؤساء ومقاولى الأنفار .. هكذا السماء لا تصادق على جهادى الناموســى مع الخطيــة الساكنة فىَّ .. بل بعد استغاثتى ؛ " ويحى أنا الإنسان الشقى . من ينقذنى من جسد هذا الموت " (رو٧:٢٤) ، هــى التى توافينــى بالحل .. إذ توجهنــى إلى اكتشــاف المنقــذ ؛ ألا وهــو " المســيح يســوع ربنا " (رو٧:٢٥) .. قائداً أفكارى ، بل وخطواتى ، إلى الناموس الجديد والصحيح ؛ ألا وهو " نامــوس روح الحياة " (رو٨:٢).

وما أن أصل إلى الاقتناع بأن الناموس الصحيح ، الذى إن خضعــت له تمتعت بالخروج من بئر ذاتى ، هــو " ناموس روح الحياة فى المســـيح يســوع " ، وليس " ناموس الله " ، المتمثل فى الوصايا الناموسية .. حتى يظهر " حربى " مندفعاً ، محتداً ، غضوباً .. متمسكاً بناموس الوصايا .. منادياً به كقاعدة للسلوك .. **منازعاً** من يخالفه الرأى ، **منازعة ليست بقليلة** .. ولو كان الرسول بولس نفسه أو برنابا (أع١٥:٢).

ذلك أن عائلة " حربــى " ترجع أصولها إلى تلك الأيام ــ أيام الرســل ــ

عندما هدد أجدادُه ــ وقتئذ ــ المؤمنين .. منذرين إياهم بالثبور ؛ " بأنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا " (أع١٥:١) .. أهكذا ؟ !.

لذلك فليس غريباً أن يشتبك " حربى " الآن مع عامة المؤمنين المخالفين إياه فى الرأى .. بل وأن يضطهدهم أيضاً .. ألم يكن لأبينا إبراهيم ابنان واحد من الجارية ، والآخر مــن الحرَّة ؟ .. وكان الذى مــن الجارية **يضطهد** الذى من الحرَّة (غل٤:٢٢،٢٩) .. هكذا المنادون بالعودة إلى العبوديــة تحــت الناموس ــ مثل ابن الجارية ــ يضطهدون من هم تحت النعمة .. أولاد الحرَّة (غل٤:٣١) .. غير مكترثين بأنهم بقيامهم بهذا الاضطهاد لإخوتهم ، يكسرون وصية هامة من الناموس (لا١٩:١٨) ، الذى ينادون به كقاعدة للسلوك .. وهى الوصية التى تأتى فى المرتبة الثانية من حيث أهميتها (مر١٢:٣١ ، غل٥:١٤).

وإن كان " علاَّم " معلِّماً ، وكان " نغَّام " ريِّساً ، فإن " حربى " هو مجرد " نفر ترحيلة " عادى .. بلا رتبة .. لكنك تجده مَلَكياً أكثر من المَلِك.

وإن كان " المعلِّم علاَّم " و " الريِّس نغَّام " موجودين فى اجتماعات بعينها دون غيرها ، فإن " حربى " موجود فى كل اجتماع .. وعائلته تنشر فروعها فــيِ كل الدوائر المســـيحية .. وآراءهم الناموسية لا تقــف ــ كآراء " المعلِّم علاَّم " ــ عند حد تفسير الجــزء المختص بالصراع فى (رومية ٧) .. بل تمتد لتغطى كل القضايا داخل الكنيسة .. وتتشعب لتشمل كل نواحى الحياة والسلوك خارج الكنيسة.

نترك " حربــى " الآن .. علــى أمل أن نلتقــى مــع مبادئه ، فى قصة " عبد الحكم وعبد المنعم " .. قريبا بمشيئة الرب.

ونعود لنواصل رحلتنا مع المجاهد فى (رومية ٧) .. لنجده ــ بعد خضوعه " لناموس روح الحياة " ــ كما الفرخ الخارج من حبسه داخل البيضة ، إلى النور .. وكما الجنين الخارج من بطن أمه ، ليمارس حياته .. يخرج ويُعتق من قانون وناموس بئر طبيعته .. أعنى " ناموس الخطيــة الكائن فى أعضائــه "

(رو٧: ٢٣).

وبدلاً مــن أن يقــول : " أما أنــا فجســدى مبيع تحت الخطيــة " (رو٧: ١٤) .. أو محبــوس ومسبى داخل بئــر طبيعتى .. ينقلب قوله إلــى : " أشكر الله بيســوع المســيح ربنا .... لأن ناموس روح الحياة فى المســيح يســوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت " (رو٧: ٢٥ ، ٨: ٢).

إن السلَّم المتين هو الذى تثبَّتت عليه قدما مجاهد ، فأُعتق من البئر ، وليست جوانب البئر التى انهارت بقدميه .. وتطبيقه لناموس " نيوتن " على هذا السلم ، هو ما أخرجه سالماً ، وليس تطبيقه لناموس الاحتكاك على هذه الجوانب.

هكذا من يتثبَّت على الناموس الجديد " ناموس روح الحياة فى المســيح يســوع " ، **يُعتق** من ناموس الخطية .. فهو الناموس **الوحيد** القادر على منح القوة للعاجز ، للصعود من بئر ذاته ، والعتق من ناموس الخطية والموت .. دون جهاد ناموسى من جانبه.

على أن من لا يصل ــ عاجلاً ــ إلى قاع الجهاد ، اقتناعاً تعليمياً بعجزه ، سيصل إليه ــ آجلاً ــ اختباراً عملياً لفشله.

والحقيقة أن أحداً من المؤمنين لم ــ ولن ــ يصل نظرياً أو تعليمياً فقط ، إلى هذا القاع .. وكل من وصل إليه ، فقد وصل إليه اختبارياً ، بعد أن ذاق مرارة الفشل فى جهاده.

إن محطة الفشل فى جهاد (رومية ٧) ، هى محطة إجبارية يقف عليها قطار كل مؤمن .. ويختبر مرارتها كل مجاهد ، استنفذ كل طاقته فى جهاده الفاشل .. معتداً بإمكانياته .. مطبِّــقاً نظريات " المعلِّم علاَّم " .. وغير " علاَّم " .. مــن " حربى " إلى " نغَّام " .. من المنادين بمبدأ الجهاد الناموسى ضد الخطية الساكنة فينا.

والرب يسمح للمؤمــن بهذا الاختبار المرير حتى **يدرك تماماً** هذا الحق الهام ؛ وهــو أنــه " ليس ســاكن فىَّ أى فى جســــدى شــيئ صالح "

(رو٧:١٨) .. **ويعلم يقيناً** أنه " إن قلنا أنه ليس لنا خطية نُضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا " (١يو ١:٨) .. **ويقتنع اقتناعاً كاملاً** بأن جهاده الشخصى ، بأسلوب ناموسى ، مع هذه الخطية الساكنة فى أجسادنا ، هو جهاد فاشل .. فلا يعود يعتد بذاته أو بإمكانياته.

وهذا تعليم أليم ، لكنه **تعليم أســــــاســــــى** ، تبنى عليه بعد ذلك تعاليم أخرى .. ومحطة مريرة ، تليها **محطات أخرى ســـعيدة**.

تعيــس هو المجاهد الذى يداوم ــ وربما عمره كله ــ على الصراع فى هذا الميدان ، والجهاد فى هذه الجبَّانة .. ملتزماً بتعليم الجهاد الناموسى ضد الخطيـــة التى فينا .. رافعاً شعــــار " المعلِّم علاَّم " ؛ أن " اصعد من البئـــر يا مجاهد " .. إذ طالما ظل هكذا يجاهد ناموسياً ، فلن يصعد .. ولن يرن جرس القيام لقطاره من هذه المحطة التعيسة ؛ محطة صراع (رومية ٧).

وســـعيد هو المجاهـــد الذى يقتنع بالتعليــم الكتابـــى الصحيح .. فيكف عن جهاده الناموســـى مع بئر ذاته .. مندرجاً تحت مظلة النامـــوس الجديـــد ؛ " ناموس روح الحياة " .. إذ متى كفَّ عن جهاده الناموسى هذا ، رن جرس القيام لقطاره .. وانفتحت له الإشارات الخضراء .. لينطلق ــ بقوة " ناموس روح الحياة " ــ خارج بئر ذاته المظلمة ، ومن جبَّانة النفس البشرية بأسرها ، إلى دهليز منير يصعد به قُدُماً " إلى كل عمل صالح " (٢كو٩:٨).. فى طريقه إلى المجد.

وقد أشار الجامعة إلى ذلك ، فى العهد القديم ، عندما كتب : " سبيل الصديقين كنور مشرق يتزايد **(الآن)** وينير إلى النهار الكامل **(فى المستقبل)** " (أم٤:١٨) .. وقت أن يصل القطار إلى محطته النهائية .. فى النهار الأبدى السعيد.

وهو نفس ما أشار إليه رسول العهد الجديد عندما كتب : " وأما **الآن** إذ أعتقتـــم من الخطيـــة وصرتم عبيداً للبِرّ **فلكم ثمركم للقداســـة (الآن) والنهايـــة**

(فى المستقبل) حياة أبدية " (رو٦:٢٢) [٦].

خلاصة القول ؛ أنه إن كان الجهـاد الروحـى مطلوباً ــ بصفـة عامة [٤] ــ فى الحياة المسـيحية .. لكن ليس فى جبَّانة النفس البشرية ، خاصة وأنه جهادٌ تحت الناموس.

****

ويطيب لنا ــ قبل أن ننتهى من موضوعنا ــ أن نمرّ على " مجاهد " فى قصتنا .. لنجده يتسلم من البعثة الأجنبية مكافأة معتبرة .. يحل بها مشكلة **كسوة الشتاء** لأولاده .. بعد أن حُلَّت مشكلة حبسه داخل البئر.

هكذا السـماء .. بعد أن توجِّه أنظارنا إلـى الاختيار الصحيح ؛ ألا وهـو " ناموس روح الحياة فى المسـيح يسـوع " .. نندرج تحته ، فتُحل لنا بذلك مشكلة صراع (رومية ٧) كخطوة أولى .. فإنها تهبنا ــ كخطوة ثانية ــ ما يشبه المكافأة ؛ ألا وهى القوة القادرة أن تعمل فينا فنثمر للقداسة ، وهى ليست إلا قوة " ناموس روح الحياة " نفسه ، كما رأينا .. فكما يعتقنى هذا الناموس من الخضوع للسلبيات .. فإنه يمنحنى القوة لإنجاز الإيجابيات.

ومن خلال هذه الإيجابيات ؛ ألا وهى ثمر القداسة .. أجدنى أنسج **ثياب البر العملى** حثيثاً .. لأكتسى بها **مرتين** .. مرَّة **الآن** .. ومرَّة أخرى **فى المستقبل** .. كما سبقت الإشارة.

أما الآن **فأرتديهـا أمـام الناس ــ خلال شـتاء الغربـة** ــ فيرى الناس " أعمالنا الحسنة ويمجدوا أبانا الذى فى السماوات " (مت٥:١٦).

أما فى المستقبل ــ **فبعد أن يمضى الشتاء** (نش٢:١١) .. **أمام كرسى المسـيح** ــ حيث تُرى عروس المسـيح هناك ، " وقد أُعطيت أن **تلبس** بزاً نقياً بهياً لأن البَزّ هو تبرُّرات القديسين " (رؤ١٩:٨) .. أى أعمال برِّهم التى أُعطى لهم (كعطية من الله) أن يعملوها فى حياتهم .. ليرتدوها هناك.

صَدَقــْتِ فيما قُلــتِ يا تفيــدةُ
وقولُكِ الخلاصــةُ المفيـــــدةُ
فكســـوةُ الشـــتاءِ للأولادِ ،
لن تجــئ
من الشــَّقا على جوانبِ الحفرْ
أو الجهادِ فى جَبَّانةِ البشـــــرْ

صــراع (رومية ٧)

الرسالة إلى أهل رومية

أصحاح ٧: ١٤-٢٥

١٤ فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ ٱلنَّامُوسَ رُوحِيٌّ، وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ ٱلْخَطِيَّةِ. ١٥ لِأَنِّي لَسْتُ
أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. ١٦ فَإِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ
مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ، فَإِنِّي أُصَادِقُ ٱلنَّامُوسَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ١٧ فَٱلْآنَ لَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا، بَلِ
ٱلْخَطِيَّةُ ٱلسَّاكِنَةُ فِيَّ. ١٨ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لِأَنَّ
ٱلْإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ ٱلْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. ١٩ لِأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ ٱلصَّالِحَ
ٱلَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ ٱلشَّرَّ ٱلَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. ٢٠ فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ إِيَّاهُ أَفْعَلُ،
فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا، بَلِ ٱلْخَطِيَّةُ ٱلسَّاكِنَةُ فِيَّ. ٢١ إِذًا أَجِدُ ٱلنَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ
ٱلْحُسْنَى أَنَّ ٱلشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. ٢٢ فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ ٱللهِ بِحَسَبِ ٱلْإِنْسَانِ ٱلْبَاطِنِ. ٢٣ وَلَكِنِّي
أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ ٱلْخَطِيَّةِ ٱلْكَائِنِ
فِي أَعْضَائِي. ٢٤ وَيْحِي أَنَا ٱلْإِنْسَانُ ٱلشَّقِيُّ. مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا ٱلْمَوْتِ؟ ٢٥ أَشْكُرُ ٱللهَ
بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ رَبِّنَا. إِذًا أَنَا نَفْسِي بِذِهْنِي أَخْدِمُ نَامُوسَ ٱللهِ، وَلَكِنْ بِٱلْجَسَدِ نَامُوسَ ٱلْخَطِيَّةِ.

تمهيــــد

مفتاح رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ؛ هو العبارة : " أما البار فبالإيمان يحيا ".

وهذه الآية وردت أوّلاً فـــى سفر حبقـــوق (حب٢:٤) .. ثم اقتبست فـــى العهد الجديد ثلاث مـــرات ؛ فـــى (رو١:١٧) .. و (غل٣:١١) .. و (عب١٠:٣٨).

وهى مكونة من ثلاث كلمات ؛ " البار " .. و " الإيمان " .. و " يحيا ".

وكل اقتباس لها فى العهد الجديد يتناول – بصفة عامة – كلمة واحدة من كلماتها الثلاث.

فرسالة رومية تتناول كلمة " البار " .. أى تختص بعملية التبرير ذاتها .. وكيف أنها بالنعمة لا بالناموس. (رو٣:٢٤).

ورسالة غلاطية تتناول كلمة " يحيا " .. أى تختص بالحياة التى يحياها من تبرر .. وهى ليست تحت الناموس (غل٣:٢،٣) ، كما يريد البعض أن يعلّموا أو يعيشوا (غل٤:٢١).

أما رسالة العبرانيين فتتناول كلمة " الإيمان " .. بمعنى أن الإيمان هو المبدأ الذى يسلك به المتبرر (عب١٠:٣٥، عب١١:٩ – الآخر).

نعود إلى رسالة رومية – والتى تتناول عملية التبرير – لنجد أن هذا التبرير **مجانى** .. على مبدأ **النعمة** .. أساســه **الكفارة** .. ويتم الحصول عليه **بالإيمان** .. " متبررين **مجاناً بنعمته** بالفداء الذى بيســوع المســـيح الذى قدمه الله **كفارة بالإيمان** بدمه " (رو٣:٢٤).

وللتبرير **يقينيَّة** .. **ونموذج** .. نجدهما فى القيامة.

أما **اليقينيَّــة** ؛ فنجدها فى كون الذى مات من أجل خطايانا ، **قــام** أيضا .. مبرهناً بذلك على اكتمال تسوية مسألة الخطية .. لأنه لو بقيت عليه خطية واحدة

من خطايانا ، التى وضعها الله عليه (إش٥٣:٦) ، لم يسوّ حسابها ، لكانت كفيلة بإمساكه فى القبر – إلى يومنا هذا – كغيره من البشر .. " لأن شوكة الموت هى الخطية " (١كو١٥:٥٦) .. لكن لأنه قدوس فى ذاته (لو١:٣٥) ، وقدوس أيضا بعدما احتمل خطايانا ، إذ سدد حسابها كاملاً ، بموته الكفارى على الصليب ، فقد قام .. تطبيقاً للمكتوب عنه فـــى النبوّة : " لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية. لن تدع تقيّك (أو قدوسك) يرى فساداً " (مز١٦:١٠، أع٢:٢٧) .. مقدماً بذلك **يقيناً كاملاً** بانتهاء مشكلة الخطية إلى الأبد (عب١:٢٣، ٩:٢٦، ١٠:١١، ١٢).

من جانب آخر ، مادام قد أُطلق سراح الضامن حقّ للمذنب أن يتأكد من انتهاء مذنوبيته .. هكذا بقيامة المســـيح من القبر يتأكد لنا انتهاء مذنوبيتنا .. أو بالحرى جميع مذنوبياتنا الثلاث [٢] .. هذا من جهة اليقينية.

أما من جهة **النمـــوذج** ؛ فإنه **بقيامة المســـيح** فى رتبته الجديدة ، فقد صار عيّنة ومثالاً ونموذجاً لما يصير إليه كل من يؤمن به .. حائزاً على رتبة مساوية .. لقد اكتسب المســـيح (كإنسان) بقيامته رتبة جديدة ، يستطيع أن يشرك فيها كل من يؤمن به .. فيصبح المؤمـــن به باراً شرعياً لاكتسابه هذه الرتبة .. إن حصولنا على هذه الرتبة هو التبرير عينه [٢] .

لذلك يصل الرسول إلى هذه النتيجة الرائعة : " الذى أسلم من أجل خطايانا **وأقيم لأجل تبريرنا** " (رو٤:٢٥) .. " فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يســـوع المســـيح (رو٥:١) [٢] .

أسلوب خاطئ

تمضى رسالة رومية ، بعد ذلك ، حتى الأصحاح السابع .. فتقدم لنا فى آخر هذا الأصحاح شخصاً نال التبرير .. أى حُسب له البر شرعاً أمام الله .. وبالتالى له الحق فى اعتبار نفسه قد تبرر .. فيظن أن أمر الخطية قد انتهى بالنسبه له فعلاً ، كما انتهى بالنسبة له شرعاً .. ويبدأ محاولاته لأن يعيش كبارٍّ فعلاً ، على قياس صيرورته باراً شرعاً .. فإذ به لا يستطيع .. ذلك لأنه لا يعرف الأسلوب الصحيح لذلك.

لقد نال التبرير بسهولة .. وظنَّ أنه بنفس السهولة يستطيع أن يعيش كبارٍّ .. إلا أنه يكتشف أن التيارات الداخلية الرديَّة ــ التى ظن أنها انتهت منه ، أو أنه انتهى منها ، بعد أن تبرر شرعاً ــ لا تزال موجودة فيه ، وأنها تقاوم رغبته فى العيشة كبارٍّ فعلاً.

يقول لنفسه : لا يهم .. ويعتبر أنه مادامت لديه الرغبة الصادقة ، والعزيمة القوية ، للعيشة كبارٍّ ، فهو يستطيع أن يعبر هذا البحر المتلاطم من نوازعه الداخلية .. فيقوم بعمل الربَّان .. ويتخذ من **ناموس الله** بوصلة .. ويبدأ فى قيادة دفَّة السفينة ــ طبقاً لهذا الناموس ــ رغبة منه فى أن يصل بها إلى برِّ البِرِّ .. لكن " تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن " .. وهى رياح من داخل نفسه ــ قبل أن تكون من خارجها ــ تطيح به وبسفينته عما يرجو لها أو يروم .. من العيشة كبارٍّ فعلياً.

لقد أخذ الوعد فى أنه قد تبرر .. وصار له الحق فِي اعتبار نفسه كذلك .. وبدأ فى وضع نفسه **تحت الناموس .. ناموس الله** .. لينفذه .. سالكاً بموجبه .. رامياً أن يصل إلى البر العملى .. فإذ به يفشل فى تطبيق الناموس.

ولأنه ناموس الله .. فهو " مقدس " بلا شك (رو٧:١٢) .. و " روحى " (رو٧:١٤) .. و " صالح " (١تى١:٨) .. لكن لمن ؟ .. " إن كان أحد يستعمله ناموسياً " (١تى١:٨).

ما معنى عبارة " يستعمله ناموسياً " ؟.

معناها ؛ يلتزم بتطبيقه من **ثلاث زوايا** :

أولاً : تطبيقه **كلّه** .. أى تطبيقه كماً.

وثانياً: تطبيقه **حَرْفياً** .. أى تطبيقه كيفاً.

وثالثاً: تطبيقه **بمجهوده الشخصى** .. أى دون مساعدة خارجية.

أما عن تطبيقه **كلّه** ؛ فإن الكتاب يطالب بذلك ، " لأنه مكتوب ملعون كلُّ من لا يثبت فى **جميع ما هو مكتوب** فى كتاب الناموس ليعمل به " (غل٣:١٠) .. لأن من حفظ **كل الناموس** وإنما عثر فى **واحدة** فقد صار مجرماً فى **الكل** " (يع٢:١٠) .. ولكن إذ كَثُر ما يخطئ فيه هذا الشخص أو غيره ـ فليست واحدة فقط هى ما يخطئ فيها الإنسان ـ فإن النتيجة ، هى فشل الإنسان فى تطبيقه كله.

أما عن تطبيقه **حرفياً** ؛ فإن الرب طالبهم بألا يحيد أحدٌ عن الوصية **يميناً أو شمالاً** .. حتى لو كان ملكاً عليهم (تث١٧:٢٠) .. بل " لتعملها (الوصايا) **كما أنا أوصيك** " (تث١٩:٩) ، أى بالكيفية التى أنا أوصيك بها حرفياً .. ومن ذا الذى استطاع ـ من البشر ـ أن يطبق وصية واحدة تطبيقاً حرفياً ؟ .. ولنأخذ هذه الوصية مثالاً ؛ " تحب الرب إلهك من **كل** قلبك ومن **كل** نفسك ومن **كل** قدرتك ومن **كل** فكرك " (لو١٠:٢٧) .. فهل وُجد من البشر من فتحنا قلبه ، فوجدنا محبة الرب تغشاه كله .. ولا مكان فيه لغير الرب ؟ .. وإذ استحال ـ على مرِّ التاريخ ـ وجود مثل هذا الشخص ، فقد أدت المطالبة بتنفيذ الناموس **حرفياً** إلى فشل الإنسان .. وإلى وقوعه تحت حكم الموت .. " لأن **الحرف يقتل** " (٢كو٣:٦) .. أى يقتل من يحيد عن هذه الحَرْفية .. حتى أن الرب اقتحم ناداب وأبيهو ابنى هرون ، رئيس الكهنة ، عندما " قرَّبا أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها " (لا١٠:٩) .. لم يفعلا شراً أدبياً .. بل ـ ربما عن جهل أو بحسن نية ـ حادا عن الحرفية .. " فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا

أمام الرب " (لا١٠:١٠).

أما عن تطبيقه **بالمجهود الإنسانى الشخصى** ، دون مساعدة ؛ .. فقد كان الناموس امتحاناً للإنسان (خر١٥:٢٥، تث٨:٢) .. (وبلغة الامتحانات ، فى أيامنا ؛ ممنوع فيه الغش) .. فالنص يقول " **الإنسان** الذى يفعلها (الوصايا) سيحيا بها " (غل ٣:١٢) .. و" .... إن كان **أحد** يستعمله ناموسياً " (١تي ١: ٨).. " وإن استهزأت فأنت **وحدك** تتحمل " (أم٩:١٢) .. فالوصية شخصية .. وتنفيذها مسئولية كل من هو تحت الناموس بمفرده .. ومن ذا الذى استطاع **وحده** ــ من البشر ــ أن ينبرى للناموس فينجح فى تنفيذه ، بمجهوده المستقل .. لذلك فإن نتيجة هذا الامتحان يعلنها الكتاب ؛ أن الإنسان أمام مطاليب هذا الناموس ، وفى امتحانه له ، " ضعيف بالجسد " (رو٨:٣) .. أى عاجز أمام مطاليبه .. وفاشل فى تطبيقه .. وراسب فى امتحانه.. بدرجة ضعيف.

بينما المطلوب هو **النجاح فى تنفيذ جميع بنود الناموس.. وبالدرجة النهائية.. ودون مساعدة خارجية.**

فإن فشل هذا الملتزم بالناموس فى تطبيقه ، بهذه الكيفية الناموسية من زواياها الثلاث .. فهذا يعود إليه هو ، لا إلى الناموس.

العيب فيه إذاً لا فى الناموس .. والفشل راجع إليه لا إلى الناموس.

على أنه إن كان الفشل هو النتيجة الطبيعية والحتمية التى يصل إليها الإنسان ، عندما يضع نفسه تحت الناموس ، فإن هذا الفشل يحدث له مرّتين :

المرة الأولى ؛ كخاطئ ، يضع نفسه تحت الناموس لكى يتبرر **شرعياً** .. فلا يتبرر .. " لأنه بأعمال الناموس **كلُّ ذى جسدٍ لا يتبرر** أمامه " (رو٣:٢٠) .. بل يحدث له العكس .. " لأن **جميع** الذين هم من أعمال الناموس هم **تحت لعنة** " (غل٣:١٠) .. " لقد **تبطلتم عن المسيح** أيها الذين تتبررون بالناموس. **سقطتم من النعمة** " (غل ٥:٤) .. " وأما الآن فقد **ظهر برُّ الله بدون الناموس** " (رو٣:٢١).

والمرة الثانية ؛ **كمتبرِّر** ، يريد أن يضع نفسه تحت الناموس ليصل ـ بتنفيذه ـ إلى البِرِّ العملى .. أى ليتمم البِرّ العملى بطريقة ناموسية .. فيحدث له العكس .. لأنه " .... حينما أريد أن أفعل الحسنى (واضعاً نفسى تحت الناموس ، أجد) **أن الشر حاضرٌ عندى** " (رو٧:٢١) .. " لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده **بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل** " (رو٧:١٩).

فالناموس لا يؤدى بالإنسان ، لا إلى **البر الشرعى** .. ولا إلى البر العملى .. " **لأنه إن كان بالناموس برٌّ فالمسيح إذاً مات بلا سبب** " (غل٢:٢١).

الصـــــراع

لم يدرك صاحبنا بعد ـ أو لم يقتنع ـ أن العيب فيه هو .. وأن العجز أمام مطاليب الناموس راجع إليه .. وأنه لا أمل يرجى منه تحت الناموس.

فإن أخطأ ـ **لأول مرَّة** ، بعد اختباره الروحى ـ نجده يواسى نفسه قائلاً : بأن هذه المــرة هــى زلَّة لن تتكرر ، وأوّل وآخر مرة أفعل الشــر فيها .. فيعزم ويصمم على فعل الخير (ناموسياً) .. ليجد نفسه أمام الامتحان ، يعجز ـ **للمرة الثانية** ـ عن فعل الخيــر الذى يريده ، ويفعل الشــر الذى ليس يريده (رو٧:١٩) !! .. وهكذا دواليك .. ولو **للمرة الألف** .. وطبعاً ليس من الضرورى أن يكون هذا الشر هو جريمة يرتكبها .. لكن يكفى أن يكون مجرد فكر شرير يراوده (أم ٢٤: ٨، ٩).. أو شهوة رديَّة تتحرك داخله(كو ٣: ٥).

فيبدأ فى الشك فى اختباره الروحى ، متسائلاً بينه وبين نفسه : هل أنا مؤمن ومتبرر أم لا ؟ .. وهل ينطبق علىَّ ما ينطبق على غيرى من المؤمنين ، من حصولهم على التبرير والحياة الأبدية أم لا ؟ .. إن كنت مؤمناً مثلهم فكيف أفعل الشر ؟ .. وإن لم أكن مؤمنــاً ، فهل ما اختبرته يوماً من عزم حقيقى على التوبة ، واشتياق واضح إلى الله ، ورغبة صادقة فى اتباع وصاياه ، وتصميم مخلص على انتهاج طريقه ، وفرح وسرور بكلمته ، وبهجة وانتعاش فى محضره ، كان وهما ، أو فورة عاطفية مؤقتة نتيجة خدمة ملتهبة ، أو تأثراً بظرف خاص ، أو هروبــاً من ضغط معيــن ، أو انفعالاً مرتبطاً بسنٍّ له شطحاته .. وبزوال هــذا كله ، عــادت " ريمة لعادتها القديمة " .. و " كأنك يا بخيت لا رحت ولا جيت " ؟ .. أم أن قوة صلاتى كانت غير كافية لتخليصى .. (كأنما صلى بجهد يعادل ٢٢٠ فولت مثلا .. بينما الخلاص يحتاج إلى جهــد ٥٠٠ ألف فولت ، كجهد السد العالى) ؟.

ويؤكــد له الشيطان هذا المعنى .. بأن توبتــك لم تكن صادقة .. وصلاتك لم تكن كافية .. وصراخك لم يكن قوياً .. وصومــك لم يكن مقبولاً .. وقلبك لم

يكن كاملاً .... إلى آخره.

فيقول هذا الشخص لنفسه : " وماله " .. لأصلِّى إذاً ثانيةً ، طالباً الخلاص من جديد .. وثالثة ورابعة ، إن لزم الأمر .. ولكن بجهد أشد .. وبقوة أكبر .. وبإيمان أعمق .. وبصوم أطول .. إن الأمر يستحق ذلك .. فهو جدُّ خطير .. إذ يتعلق بخلاص نفسى وأبديتى.

فيغلق المسكين على نفسه .. ويُخرج كل ما فى داخله من طاقة ، وعزيمة ، وإصرار ، ورغبة .. ويصيغها فى عبارات قوية .. مصلِّياً بصوت صارخ .. وزعيق شديد .. وعويل مديد .. حتى يمنحه الرب الخلاص ، بأن يستأصل ـ هكذا يظن ـ جذور الشرِّ منه .. ويترك العنان لدموعه ، حتى توافيه ساخنة متناسبة مع خطورة المسألة .. مع التذلل والانقطاع عن الأكل .. وربما عن كافة مظاهر الحياة.

ويستمر فى اتباع هذا الأسلوب .. واضعاً وجهه فى التراب .. صارخاً زاعقاً .. هلعاً جزعاً .. داخلاً بذلك فى دهاليز من المتاعب النفسية ، والمشقات الجسدية.

وماذا بعد هذا ؟ .. لا شئ .. سوى اكتشاف أن الشر لا يزال كامناً فيه .. متحيِّناً أقرب فرصة للنشاط والظهور .. وأن جذوره لم تنقطع منه .. بل ما برحت مستعدة أن تنبت براعمها ، عند أول موسم يصادفها.

فيعمد للنصاح والوعاظ .. فينصحونه بتصعيد الجهاد !! .. مع تعاطى بعض المقويات الروحية .. وممارسة بعض التدريبات المعنوية .. والتدرج فى الامتناع عن الخطية .. وقهر الشهوات بقوة الأسلحة الروحية .... إلخ .. حتى الوصول إلى قطع الخطية تماماً .. واجتــثاث جذورها من أصلها .. فهذه هى مناهج الصديقين .. ومدارج الأبرار .. ومعارج الطوباويين .. هكذا يقولون ، وبهذا ينادون .. فيعكف على اتباع نصائحهم .. ولكن للأسف .. دون جدوى (٧) .

يدفعه هذا كله إلى النظر إلى ذاته .. ومراجعة الأمر من جديد .. وتقييم [٨] الموقف برُمَّته.

فيكتشف **ستة اكتشـــافات** متتالية :

الاكتشاف الأول

فى مكاشفة مع نفسه ، يحادثها قائلاً : طالما أن الناموس الذى وضعت نفسى تحت التزاماته هو ناموس الله ، وهو ناموس **روحى** .. ولأنى عاجز عن تنفيذ مطاليبه ، " فأنا إذاً **جسدى** " ..

وطالما أننى حاولت مراراً كثيرة وفشلت فى كل المرات ، أى كانت النتيجة صفراً من عشرة .. إذاً لا يوجد فىَّ ـــ بصفة مطلقة ـــ شيئ صالح .. بل **أنا كتلة خاطئة وشريرة .. مستعبدة ومبيعة تحت الخطية** .. لأن " الناموس روحى وأما **أنا فجسدى** (وكلِّى) (٩) **مبيع تحت الخطية** " (رو٧:١٤).

اكتشاف مروع .. وفجيعة عظمى .. وطامة كبرى .. فلا شيئ فىَّ صالح على الإطلاق **الآن** .. ولا أمل فى أى إصلاح **فى المستقبل** .. ولا بصيص من نور يلوح ، ولو من بعيد .. بل تيه فى قفر مظلم .. ودوران فى فلك بهيم .. فأنا أسوأ من أن يجدى معى أى إصلاح .. وإلا لكنت قد نجحت ، ولو فى محاولة واحدة ، من محاولاتى المستميتة العديدة والسابقة ، لتنفيذ الناموس.

الاكتشاف الثانى

وبينما يدور المسكين فى هذه الدوامة الرهيبة ، يقع بصره على اكتشاف ثانٍ ، يهوّن عليه فجيعته فى اكتشافه الأول.

يقوده إلى هذا الإكتشاف الثانى ، التساؤل البديهى وهو ؛ لماذا يؤلمنى اكتشافى الأول ؟ .. أليست هى رغبتى فى طاعة الله عن طريق تنفيذ وصاياه .. ثم عجزى عن ذلك .. عظيم .. إذاً أنا " أصادق الناموس أنه حسن " (رو٧:١٦) .. بل و " أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن " (رو٧:٢٢) .. و " أريد أن أفعل الحسنى " (رو٧:٢١) .. و " الشر .... لست أريده " (رو٧:١٩) .. وما دام الأمر كذلك ، إذاً فهناك شيئ حسنٌ فىَّ .. **لست كلىَّ** إذاً ــ بصفة مطلقة ــ كتلة شريرة .. بل هناك فىَّ هذا الشيئ الحسن الذى يفرض سلطانه على ذهنى .. ويجعلنى أبغض الشر ، وأحب فعل الحسنى .. ما هو هذا الشيئ ؟ .. يسميه الرسول **" ناموس ذهنى "** (رو٧:٢٣) .. أى الناموس الذى يسيطر على ذهنى (لا على أعمالى) ويخضعه له .. منشئاً فىَّ الرغائب المقدسة .. من أين أتى هذا الناموس ؟ .. لابد أنه من الطبيعة الجديدة ، التى تملى هذا الناموس على الذهن .. **إذاً هناك طبيعة جديدة فىَّ** ، هى التى وراء هذا الناموس ؛ ناموس ذهنى.

أى اكتشاف عظيم هذا ؟ .. وليست عظمته فى كونه فقط يؤشّر لصاحبنا أن اختباره الروحى لم يكن وهماً ولا انفعالاً ــ كما سبق وظن ــ بل تكمن عظمته أيضاً فى اكتشاف صاحبنا أنه **ليس كله** كتلة شريرة .. بل هناك شيئ طيب فيه ، مما يمنحه قبساً من الأمل .. فهناك الجانب العاصى الشرير فيه ؛ وهو الطبيعة القديمة .. أو ما يسميه الكتاب " الخطية " (رو٨:٣) ، أو " الجسد " (رو٨:١٣، غل٥:١٦،١٧) .. وهناك أيضاً الجانب المتوافق مع الله فيه ؛ وهو الطبيعة الجديدة المولودة من الله.

لذلك فكل ما يتولّد فيه من رغائب مقدسة ــ حتى وإن عجز عن تتميمها ــ

إنما من الطبيعة الجديدة .. كذلك كل ما يصدر عنه من شرٍّ لا يريده ــ حتى وإن فعله ــ إنما من الطبيعة القديمة .. ويصل بذلك إلى قول الرسول : " فالآن لست بعد أفعل ذلك (الشر) أنا بل الخطية الساكنة فىَّ " (رو٧:١٧) .. " فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فىَّ " (رو٧:٢٠).

وهذان الشيئان ــ أو الطبيعتان ــ هما ما أشار إليهما الرب عندما تكلم مع نيقوديموس عن الولادة الثانية .. لم يقل له أن نوال الطبيعة الجديدة معناه خلع الطبيعة القديمــة .. بل أشــار إلى وجــود الاثنين ، واستمرارهما معــاً بقوله : " المولود من الجسد جســدٌ هو (أى يظل جسداً) والمولود من الروح هو روح " (يو٣:٦) [٢] .

ومن خلال اكتشافه الثانى هذا ، يصحح صاحبنا اكتشافه الأول .. لقد كان اكتشافه الأول ؛ أنه **كلَّه كتلة واحدة شريرة** .. ومبيعة تحت الخطية .. ولا يسكن فيه **كلِّه** شيئ صالح .. أما الآن .. فما دامٍ قد اكتشف وجود هذا الشيئ الجديد ــ أو الطبيعة الجديدة ــ فيه ، فليس كلُّه شراً .. الشر موجود ، لكنه لا يملأ الكيان كلَّه .. ولا يسكن فيه بصفة مطلقة .. بل **يسكن فى جسده فقط**.

ولأن كاتــب اختبار (روميــة ٧) قد كتبــه مســوقاً مــن الروح القــدس (٢بط١:٢١) .. فإنه قد كتب الاكتشاف الأول بعد تصحيحه .. إذ بعد ما كتب : " فإنى أعلم أنه ليس ســاكن **فىَّ** " .. استدرك مضيفاً : " **أى فــى جســدى** شيئ صالــح " (رو٧:١٨).

فالشر أو عدم الصلاح يسكن جسده فقط .. أما باقى كيانه ، كذهنه وإنسانه الباطن ، وإرادته ، فهى تخضع للطبيعة الجديدة .. وما تمليه هذه الطبيعة من ناموس للذهن ، يدفع للسرور بناموس الله (رو٧:٢٢) .. وما تنشئه (هذه الطبيعة) من رغائب مقدسة ، توجد إرادة لفعل الحسنى (رو٧:١٩،٢١).

نعود إلى صاحبنا .. فنجده يقرُّ عيناً باكتشافه الثانى .. ولسان حاله : " إذاً أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية " (رو٧:٢٥) ..

فإن أحببت البر والخير ، فهذا ناتج مـــن طبيعة الله التى سكنت فىَّ .. وإن فعلت الشرَّ ، " فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فىَّ " (رو٧: ٢٠).

• عظيم أيها الأخ .. لقد كنت كالمحامى البارع ، الذى وجد ضالته فى هذا الاكتشاف الثانى .. فأضافه بسعادة إلى ملف القضية .. قائلاً : لســت أنـــا بل الخطية الساكنة فىَّ هى ما ــ أو من ــ فعلت ــ أو تفعل ــ الشر .. ألديك أقوال أخرى ؟.

•• نعم.

• ما هى ؟.

•• ما دمتُ قد عرفتُ أن لدىَّ طبيعتين ، فقد عرفت الصديق من العدو .. وســأناصر الصديق ضد العدو .. وســأناضل حتى النصــر.

• ثانية .. ألم يكفك ما لاقيته من هزائم متكررة ؟.

•• ثانية وثالثة .. كنت أجاهد قبلاً على غير هدًى .. وغير علم بإمكانياتى الجديدة .. أما الآن ــ وقد علمت ــ فسيكون لجهادى شأن آخر.

• وما هى إمكانياتك الجديدة هذه ؟.

•• الطبيعة الجديدة.

• وماذا تراك فاعلٌ ؟.

•• فى هذه المرحلة الجديدة من الجهاد .. سيساعدنى اكتشافى ــ وتأكُّدى من ــ وجود الطبيعة الجديدة فىَّ ، على استثمارها فى قمع الطبيعة القديمة.

• أأنت الذى تستثمرها ؟.

•• نعم أنـــــا.

ويمضى صاحبنا فى مصارعاته مع نزعاته الداخلية .. أو بلغة الكتاب ؛ مع ناموس الخطية الكائن فى أعضائه .. ويروح فى جهاد ضد ما تمليه عليه طبيعته الفاسدة من أميال شريرة .. معتمداً على اكتشافه السعيد بأن لديه طبيعة جديدة ، تساعده أو يساعدها .. فيواصل جهاده الشخصى فى هذه المرحلة ، وبنفس

الطريقة الناموسية التى اتبعها سابقاً .. مع فارق ؛ أنه إن كان قد جاهد ــ فى المرحلة السابقة ــ بصفته **قادراً** .. فإنه يجاهد ــ فى هذه المرحلة ــ بصفته **أكثر قدرة** .. وذلك لاكتشافه وجود الطبيعة الجديدة فيه .. فكأنما أعطته هذه الطبيعة الجديدة فرصة أكبر للاعتداد بذاته ، والاعتزاز بإمكانياته ، والاتكال على أسلحته.

الاكتشاف الثالث

متسلحاً بهذه الروح (روح الاعتداد بذاته) يخوض صاحبنا المعركة ــ بكل ثـقة ــ ليهبط فى النهاية ــ بكل أسى ــ إلى درك أسيف.

وبذلك يصل صاحبنا إلى اكتشافه الثالث ؛ وهو أنه رغماً عن وجود الطبيعة الجديدة فيه ، فإنه لا ينفك ينهزم انهزامات متتالية دون أدنى رجاء فـى الانتصار .. وهو اختبار لا يقل مرارة عن اختباره الأول ــ **بل ربما يزيد** ــ ذلك لأن ما علَّق عليه الأمل هنا ــ وهو مساعدة الطبيعة الجديدة له ــ لم يغير قيد أنملة من نتيجة المعركة.

وإن كان ــ فى المرحلة الأولى من جهاده ــ قد شكَّ فى اختباره الروحى .. وسعى إلى تكراره .. فإنه فى هذه المرحلة يشكُّ فى نفسه شخصياً .. ويظن أن تركيبه السيكلوجى أو النفسى غير عادى .. وأنه غير كل المؤمنين .. فلديه ازدواج فى الشخصية .. و .... إلخ .. ولا تجدى معه طبيعة جديدة .. ولا يؤثر فيه ناموس ذهن متجدد .. مما يدفعه إلـى اليأس الكامل من نفسـه .. **ونِعْمَ اليأس** .. لأنه بداية انفراج الأزمة .. و " اشتدِّى أزمة تنفرجى " ، كما يقول الشاعر.

الاكتشاف الرابع

عندما يبوء صاحبنا بالفشل فى جهاده الشخصى ـ تحت الناموس ـ رغماً عن وجود الطبيعة الجديدة فيه .. فلا هو أعانها .. ولا هى أعانته .. يصل إلى اكتشافه الرابع وهو ؛ أنه بالإضافة لوجود الطبيعة الجديدة داخله ، **فإنه يحتاج إلى إمداد خارجى .. لا كمساعدٍ** لإمكانياته الذاتية فى الجهاد الناموسى ، بل **كبديل** لهذه الإمكانيات .. يكتشف أنه فى حاجة إلى **إنقاذ** لا إلى **مساعدة** .. وإلى **منقذ** لا إلى مساعد.

الاكتشاف الخامس

بوصول صاحبنا إلى اكتشافه الرابع ، وأنه فى حاجة إلى منقذ لا إلى مساعد ، فإنه يصـرخ مـن واقـع الإفلاس التـام : " ويحى أنا الإنسان الشقى . من ينقذنى (وليس من يساعدنى علـى إنقاذ نفسـى) من جسد هذا الموت " (رو٧:٢٤).

وبمجرد إطلاق صرخته هذه : " **من ينقذنى** " ، تتفتح عينا إيمانه فوراً على اكتشافه الخامس وهو ؛ وجود **المنقذ** .. ألا وهو **المسـيح يسـوع** .. فإذ بصاحبنا يهتف ــ ذاكراً هذا الإسم المبارك للمرة الأولى ، والوحيدة ، فى هذا الصراع .. قائلاً :

- " أشكر الله **بيسـوع المسـيح ربنا** " (رو٧:٢٥).
- •• ماذا جرى ؟ .. هل انتصرت بعد ؟.
- لا.
- •• إذاً عَلاَمَ تشكر الله ؟.
- لم أجد الانتصار بعد ، لكنى وجدت المنتصر .. والقادر على الإنقاذ ، ومنح النصرة.
- •• من هو ؟.
- **المسـيح يسـوع ربنا** .. إنه اليوم أساس عتقى وتحريرى ..كما كان بالأمس أساس خلاصى وتبريرى.

لذلك لم يقل : أشكر الله بيسـوع المسـيح ربنا ، **الذى أنقذنى** ، أو **حررنى** من ناموس الخطية .. بل : " أشكر الله بيسـوع المسـيح ربنا " .. **فقط.**

فهو **لم يُعتَق** بعد .. لكنه استراح قبل أن يُعتَق .. لماذا ؟ .. لأن المنقذ موجود .. وبالإيمان أدرك أنه وإن كان لا يزال مأزوماً فى معركته ، لكـن يكفيه ــ مرحلياً ــ أن المنقذ موجود .. وما دام موجوداً ــ وثقة به ــ فإن الإنقاذ فى طريقه إليه .. وهو يشكر الله على مجرد وجود هذا المنقذ.

الاكتشاف السادس

أما الاكتشاف السادس ، فهو ليس اكتشافاً قدر ما هو اختبار .. إنه اكتشاف أو اختبار العتق عن طريق الناموس الجديد الذى يقدمه له المنقذ ؛ وهو " **ناموس روح الحياة** " (رو٨:٢) .. (وسنعود إلى هذا الاكتشاف ، أو الاختبار ، بعد توضيح أنواع النواميس الأربعة).

****

النواميس الأربعة

لما كثر استخدام كلمة ناموس فى هذا الموضوع .. لذلك فقبل أن نرى عمل وفاعلية " ناموس روح الحياة " ، يجدر بنا أن نشير إلى أن هناك أربعة نواميس مذكورة فى هذا الجزء الأخير من (رومية ٧) والجزء الأول من (رومية ٨) [١٠] .. وهى ، كما يكتب الفاضل الأخ " ناشد حنا " :

١- ناموس الله : أى الوصايا العشر.

٢- ناموس الخطية والموت : أى سيادة الطبيعة الفاسدة.

٣- ناموس ذهنى : أى إرادة الطبيعة الجديدة.

٤-" ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع " : أى ناموس الروح القدس.

هذا نص ما كتبه الأخ " ناشد ".

ولزيادة التوضيح ، نعيد كتابة هذه النواميس الأربعة :

١- " **ناموس الله** " (رو٧:١٤،٢١) : أى الوصايا التسع (بعد استثناء وصية حفظ السبت) .. أو بالحرى ـ فى موضوعنا ـ كل ما هو أدبى ـ لا طقسى ـ من ناموس موسى.

٢- " **ناموس الخطية** " ، الكائن فى أعضائى (رو٧:٢٣) : أى القانون الذى تفرضه الخطية علىَّ ،•فتتسيد به ، وتسبينى إلى تنفيذه .. فأجد نفسى ، بذلك ، إنساناً " جسدياً مبيعاً تحت الخطية " (رو٧:١٤).

٣- " **ناموس ذهنى** " (رو٧:٢٣) : أى الناموس أو القانون الذى تبسطه — ولا أقول تفرضه — الطبيعة الجديدة على ذهنى .. فتنشئ فىَّ — أو ينشـئ فىَّ هذا الناموس — رغائب أدبية ، تزيد أحياناً عن مطاليب ناموس الله (رقم ١) .. مثال ذلك قول الرب : " سمعتم أنه قيل (فى الناموس رقم ١) تحب قريبك وتبغـض عدوك . وأمـا أنا فأقول لكـم أحبـوا أعداءكـم .... إلـخ .. " (مت٥:٤٣،٤٤) .. فطبيعة الله فىَّ تكشف لى — فى رغائبها — نوراً أسمى بكثير مما تكشفه لى المطاليب الحرفية للناموس (رقم ١).

هذا ويوجد عند البشر عامة ناموس لذهنهم أيضاً ، تكوَّن لديهم بقدر ثقافتهم وتعليمهم وتقاليدهم .. ولسنا الآن بصدد تقييم [٨] ناموس الذهن عندهم .. ولا التطرق إلى نوعية هذا الذهن .. لكننى أريد فقط أن أقول بوجود مثل هذا الناموس الذهنى لديهم — أو على الأقل لدى بعضهم — أياً كان مستوى هذا الناموس .. أو نوعية هذا الذهن.

وقد أشـار إلى نامـوس ذهنهـم هـذا ، مفكـرون وكتاب كبـار ، أمثال " أبى العلاء المعرِّى " ، والدكتور " طه حسين " ، مع المذكورين — مع أقوالهـم عـن هـذا النامـوس — فـى العدد السابق مـن هـذه السلسـلة ، بعنـوان " ميمى بك " .. ومثل الأستاذ " عبد الوهاب مطاوع " فى هـذا العدد .. وغيرهم.

أما عالم النفس " فرويد " فقد قال بوجود الـ " هُوَ " ، ويماثل — إلى حد ما — ناموس الخطية (رقم ٢) فى موضوعنا .. والـ " أنا العليا " ، وتماثل ناموس الذهن الذى نتناوله الآن تحت (رقم ٣).

٤- **" ناموس روح الحياة فى المســـــيح يســـوع "** (رو٨:٢) : أى ناموس الروح القدس .. الذى هو بمثابة قانون يحمل بين جنباته قوة تنفيذه .. ولأنه يتعامل مع العاجز الذى وصل إلي نهاية **وموت ذاته** ، فلا أقل من أن تكون القوة الكامنة فيه هى **قوة الحياة** .. تُبْعَثُ فى هذا الذى انتهى من ذاته .. إنها قوة الحياة القادرة على الإطلال من براثن الموت .. وأية حياة ؟ .. **الحياة التى فى المســــيح يســـوع** .. لأن " فيه كانت **الحيـــــاة** " (يو١:٤) .. وهو " القيامة **والحياة** " (يو١١:٢٥) .. " والطريق والحق **والحيـــاة** " (يو١٤:٦) .. لذلك يسميه الرسول : " ناموس روح **الحياة فى المســــيح يســـوع** " (رو٨:٢).

لذلك نجد أن هذا الناموس يحمل فى ذاته عناصر قوته .. قوة الحياة .. يمد بها الخاضع له ، وهو العاجز إلى درجة **الموت** .. وينقلها إلى الداخل تحت مظلته ، وهو اليائس من نفسه إلى درجة **الشقاء**.

وهو فى هذا يختلف عن ناموس الله (رقم١) ، فى أن ناموس الله لا يعطى قوة مصاحبة لمن يخضع له ، راغباً فى تنفيذه .. إنه يطلب منه فقط .. وينتظر تنفيذ ما يطلبه .. دون تقديم يد العون .. رغم كون الخاضع له ضعيفاً وعاجزاً ـــ بالجسد ـــ إلى درجة الموت .. وهذا هو سبب فشل المؤمن المجتاز فى صراع (رومية ٧) .. إذ ليست لديه القوة فى ذاته ، ولا أعطاه الناموس ـــ مع أنه ناموس الله – القوة اللازمة لذلك .. وحين وضع نفسه تحت هذا الناموس ـــ ناموس الله ـــ ليفعل البر ، ناموسياً – ورغماً عن وجود الطبيعة الجديدة فيه ـــ حدث له ما حدث من هزيمة ، وفشل ، وحيرة ، وتساؤل ، وشك ، وإحباط.

****

نعود إلى الاكتشاف ـــ أو الاختبار ـــ السادس .. لنرى أنه كما أن قوة الحياة الطبيعية تفرض نفسها ، رغماً عن وجود الموت .. كذلك **قوة الحياة التى فى المســــيح يســـوع** تفرض نفسها كناموس قوته " منه فيه " ، رغماً عن وجود

نامــوس الخطية والموت .. وهى تعمل بالروح القدس ــ أو الروح القدس يعمل بقوتها ــ لتعتق المؤمن المصارع فى (رومية ٧).

ذلك لأنه ، كما أن قوة الحياة الطبيعية قد خُلقت فى الاصل ــ وقبل دخول الموت الى العالم ــ لتكون أقوى القوى تحت الشمس .. بدليل استمرار الحياة حتى الآن .. رغم كل ما يقابلها من كوارث طبيعية ، وزلازل ، وبراكين ، وفيضانات ، وعواصف .. ورغم كل ما يعترضها من عوائق طبيعية ، أو صناعية .. حتى أنك لترى نبتة صغيرة تستطيع أن تشق طريقها خلال أرض صخرية صلبة ، ملتمسة فالقاً تنفذ منه .. أو شجرة طرية تتعامل مع عقبة حديدية فتثنيها ، أو مع جدار فتهدمه .. أو شجرة مقطوعة بعد أن يموت فى التراب جذعها ، تمتد خراعيبها ، وتنبت فروعها ، لأنها شمت رائحة الماء ، فتعود يانعة من جديد (أى١٤:٧،٨) .. ناهيك عن جروح تلتئم .. وكسور تلتحم .. وأجنّة تنمو فى الأرحام .. وأطفال تشبُّ عن الطوق .. ودفاع مناعىٌ ضد الأمراض .. ومقاومة للتلوث البيئى .. كل هذا ، وغيره ، بقوة الحياة الطبيعية .. كذلك ــ بل بالأولى كثيراً جداً ــ قوة " الحياة التى فى المســـيح يســوع " .. هذه لا يقف أمامها طبيعة قديمــة .. أو شرٌ كامن .. أو برصٌ دفين .. أو ناموس للخطية .. أو حتى ناموس للموت .. إنها قوة حياة قادرة على اجتياز العقبات .. حتى الموت .. وناموس روحها ــ " روح الحياة فى المســـيح يســوع " ــ هو **الوحيد** الذى كتب عنه الرسول : " لأن ناموس روح الحياة فى المســـيح يســوع قد **أعتقنى من نامــوس الخطية والموت** " (رو٨:٢).

وكما أن ناموس الحياة الطبيعية لا يسمح بوجود جسم غريب فى أى كائن حىٍّ .. كذلك " ناموس روح الحياة فى المســـيح يســوع " لا يقبل أى غريب معه .. ومن تراه هذه الغريب المرفوض ؟ .. إنه جهادى الناموسى .. أو بالحرى **أنــا** ، بجهادى الناموسى .. **أنــا** ، الذى يريد أن يكون له دورٌ فى هذا الصراع .. **أنــا** ، المذكور فى هذا الجزء من (رومية ٧) ــ مع الضمائر ــ حوالى ٤٠ مرّة .. **أنــا** .. ولكن بفكرى الخاص .. وبإرادتى الذاتية التى تريد ناموساً فى وصايا لكى تطبقه بإمكانياتها .. وتجد فى ناموس الله فرصتها

للانتعاش والظهور ، والقيام بدور يبرز هذه الإمكانيات .. حتى لو كانت هذه الإمكانيات هى امتلاك طبيعة جديدة!!.

لذلك فمن جهة التطبيق ، لا يمكن الجمع بين الناموسين ؛ " ناموس الله " (رقم ١) ، و " ناموس روح الحياة فى المسـيح يسـوع " (رقم ٤) .. مع أن هدفهما واحد .. وهو الوصول إلى **البِرّ** .. لكن مع كون هذان الناموسان يؤديان إلى غاية واحدة ــ وهى البِرّ ــ فإن الوسيلتين لبلوغ هذه الغاية مختلفتان كما رأينا .. فالناموس الأول (رقم ١) **يطالب** بالتنفيذ ، " لأن موسى يكتب فى **البر** الذى بالناموس إن الإنسان الذى **يفعلها** سيحيا بها " (رو١٠:٥) .. بينما الناموس الأخير (رقم ٤) **يعطى القوة** على التنفيذ ، " لأن ناموس روح الحياة فى المسـيح يسـوع **قد أعتقنى** من ناموس الخطية والموت " (رو٨:٢) .. الأول يطالب ولا يعطى .. والأخير يعطى ولا يطالب.

لذلك فإمكانية خضوعى لناموس الله ــ ناموسياً ــ و " لناموس روح الحياة فى المسـيح يسـوع " ــ فى وقت واحد ــ مستحيل .. فالأول يتطلب إنساناً **قادراً** على تتميمه .. والأخير يطلب إنساناً **عاجزاً** إلى درجة الموت ، فيعمل فيه بقوة هذه الحياة.

وهل أنا فى (رومية ٧) ، فى مواجهة ناموس الله ــ وفى حقيقة الأمر ــ قادر أم عاجز ؟ .. أنا **عاجز** .. إلى أى درجة ؟ .. إلى درجة فشلى التام فى تنفيذ ناموس الله .. وخضوعى الكامل " لناموس الخطية الكائن فى أعضائى " (رو٧:٢٣) .. **عاجز إلى درجة البيع والعبودية !!** .. " لأننا نعلم أن الناموس روحى أما أنا فجسدى **مبيع** تحت الخطية " (رو٧:١٤).

لذلك فإن سبب كل ما رأيناه من صراع ، متبوع بالفشل ، هو أننى اعتبرت نفسى قادراً ، لا عاجزاً .. فجاهدت .. ثم فشلت.

مثال من الحياة الطبيعية

بين المحاولات الفاشلة التى يبذلها المصارع فى (رومية ٧) ، لإخضاع نفسه لناموس الله ، مما يؤدى إلى اكتشافه أنه خاضع ــ رغم إرادته ــ " لناموس الخطية الكائن فــى أعضائــه " .. وبين دخوله تحت مظلة " ناموس روح الحياة فى المســـيح يســوع " ، مما يؤدى إلى عتقه من " ناموس الخطية " .. يطفو أمامنا على السطح مثال من الحياة الطبيعية ؛ ألا وهو الجنين .. مرتين ؛ مرَّة فى بطن أمه ، قبل ولادته .. والأخرى ، بعد ولادته.

فقبل ولادته ؛ نجده قد اكتمل نموُّه .. وامتلك كل مقوِّمات الحياة وأدواتها .. من أجهــزة وأعضاء ، كالأنف ، والفم ، والمعدة ، والعينين ، والرجلين .... إلخ .. لكنه لا يستخدمها .. حتى لو أراد ، أو حاول .. لأنه إن افترضنا أن الإرادة حاضرة عنده .. وهناك تعليمات صحية ورياضية تطالب بوجوب تناول الطعام الصحى .. وضرورة استنشاق الهواء النقى .. وأهمية ممارسة الرياضة والمشى .... إلخ .. وحاول هذا الجنين أن يستخدم إمكانياته التى يمتلكها ، من تنفُس عن طريق الأنف ، وتغذية عن طريق الفم ، وهضم عن طريق المعدة ، ورؤية عن طريق العينين ، وتحرُّك عن طريق الرجلين .. وذلك تنفيذاً للتعليمات **والنواميس** الصحية والرياضية المفترضة .. وجاهد فى سبيل ذلك ، مرتكضاً فى بطن أمه ، ومصارعاً بيديه ورجليه .. فهل تراه ينجح لأنه **يريد** ذلك ، أو لأنه **يمتلك مقومات** ذلك من أعضاء ؟ .. كلا .. لماذا ؟ .. لأنه ببساطة **خاضع لناموس الأَجِنَّة** داخل الأرحام ، فى تنفسها وغذائها ، عن طريق الحبل السُّرى .. وبالتالى لا يستطيع أن ينفذ **النواميس الحياتية** ، **أو الصحية** ، **أو الرياضية** .. رغم امتلاكه لأعضاء الجسد كاملة .. وتمتعه بمقومات الحياة كلها.

وما هذه التعليمات الصحية أو الرياضية المفترضة .. إلا صورة لناموس الله (رقم ١) .. إن اعتبرنا الجنين صورة للمؤمن المصارع فى (رومية ٧) .. الذى

مع كونه يمتلك كل مقومات الحياة الروحية ، من طبيعة جديدة ، وذهن خاضع لها ، وإرادة حاضرة ، ورغبة عارمة فى فعل الحسنى .. لكنه يعجز عن الانتفاع بكل هذه الإمكانيات التى يمتلكها .. ويفشل تماماً فى الخضوع لوصايا ناموس الله (رقم ١) .. ويعجز عن القيام بمتطلبات الطبيعة الجديدة .. أو تمكينها من ممارسة عملها والقيام بدورها فى حياته .. متجنباً شراً .. وعاملاً خيراً .. ومتمماً برًّا .. لا لشيئ إلا لأنه محبوس ومسجون داخل **ناموس** يمنعه من ذلك .. مثلما يمنع **ناموس الأَجِنَّة** الجنين من ممارسة حياته الطبيعية لأنه محبوس داخل الرحم.

ما هو هذا الناموس لدى المؤمن ، والذى يماثل ناموس الأَجِنَّة – فى الأرحام – فى تشبيهنا ؟ .. إنه ناموس الخطية (رقم ٢) .. والذى يمنع المؤمن – فى (رومية ٧) – من القيام بشيئ واحدٍ مما يريده من برٍّ ، تنفيذاً لناموس الله (رقم ١) .. بل ويحبسه مبيعاً تحت الخطيةِ.

لا فكاك للجنين من الخضوع **لناموس الأَجِنَّة** ، طالما بات فى رحم أمه .. ولا فكاك للمصارع من الخضوع **لناموس الخطية** ، طالما دار يصارع فى دوّامة (رومية ٧).

الحلُّ إذاً أن يخرج الجنين من بطن أمه .. فيُعتق من ناموس الأَجِنَّة .. لكن كيف ؟ .. ومن الذى يعتقه ؟ .. هل هو جهاده ؟ .. كلا .. إنه حتى لو حاول الخروج بشتى الطرق مستخدماً رجليه فى الرفس ، ويديه فى السباحة ، وعضلاته فى الانسياب .. فهيهات له .. لأنه مسبيٌّ ومأسور .. داخل كذا وكذا ، من المصطلحات الخاصة بطب النساء.

هكذا المؤمن المجاهد – ناموسياً – فى (رومية ٧) ، محبوس .. لا تجدى محاولاته للعتق .. لأنه خاضع " لناموس الخطية " الكائن فى أعضائه (الناموس رقم ٢) .. وان كان الحل هو عتقه ، فإن ذلك يتم بواسطة آخر.

وكأني بالجنين يصيح : إنى مبيع ومحبوس داخل هذا السجن .. أو بلغة

الرسول ، على لسان هذا المجاهد : " أما أنــا فجســدى **مبيع** تحت الخطــية " (رو٧: ١٤).

أو كأنى بالجنين يصرخ : ويحى أنا الكائن الشقى .. من ينقذنى من هذا الحبس ؟ .. أو بلغة الرسول ، على لسان هذا المجاهد : " ويحى أنا الإنســان الشقى . من **ينقذنى** من جسد هذا الموت " (رو٧: ٢٤).

حتى يجد الجنين أخيراً من يخرجه .. إنه أمه — **بقوة الحياة التى فيها** — **تطلقه طلقاً** مــن حبسه ، **وتعتقه عتقاً** مــن سجنــه .. فيرى النور .. فيمــا نرى فيه صورة " **لناموس روح الحياة** " (رقم ٤) .. الذى يخرج مجاهد (رومية ٧) .. من حلبة صراعه الناموسى الفاشل .. إلى دائرة مختلفة تماماً.

وهذا ما عبَّر عنه الرسول — بلغة هذا المجاهد — قائلاً " لأن نامــوس روح الحياة فى المســـيح يســوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت " (رو٨: ٢).

" ناموس روح الحياة " إذاً (رقم ٤) — وليس الجهــاد لتتميم النامــوس (رقم ١) — هو ما يعتق المؤمن من حبسه ، ومن صراع (رومية ٧).

واكتشاف الناموس الصحيح — الاكتشاف السادس — هذا ، هو اكتشاف الباب المدهش ، المؤدى — بالداخل منه — إلى خارج أسوار السجن .. سجن البيع تحت الخطية.

وبعد عتق الجنين من حبسه بواسطة قوة الحياة الطبيعية التى لدى أمه — وهى قوة خارجة عنه — نجده يستطيع أن يستخدم أعضاءه كلها .. فى التنفس ، والشم ، والتذوُّق ، والأكل والهضم ، والمشى .... إلخ ..

فيصيح أول ما يفعل ، مستخدماً حنجرته .. ويشهق أول ما يشهق ، مستخدماً أنفه ورئتيه .. ويرضع أول ما يرضع ، مستخدماً فمه ومعدته .... وهلمَّ جراً.

هكذا المؤمن بعــد عتقه مــن " ناموس الخطيــة " (رقم ٢) ، بواسطــة " ناموس روح الحياة " (رقم ٤) ، لا بواسطة جهاده تحت الناموس (رقم ١) .. فإنه يستطيع أن يمارس حياته الروحية .. مستنشقاً عبير السماء (نش١:٣) .. آكلاً الكلمــة (إر١٦:٥) .. متلذذاً بها (مز١٠:١٩ ، ١٠٣:١١٩) .. هاضماً لها (أم١٨:٢٢ ، حز٣:٣) .. مجتراً عليها (مز٢:١) .. عاملاً بهــا (يع٢٢:٢) .. سالكاً بالروح (غل١٦:٥) .. فــى القداســة العملية (عب١٤:١٢) .. مثمــراً بــراً (غل٢٢:٥) .. مناديــــاً للآخريــــن (٢كو٢٠:٥) .. شاهــــداً لهــم (إش١٠:٤٣ ، ٢تى٨:١) .. مستثمراً كل أدوات الطبيعة الجديدة المولودة مــن الله .. والتى لديه .. هذه الأدوات التى كانت عاطلة أثناء حَشْرِ نفسه تحت الناموس (رقم ١) ، فى صراع (رومية ٧).

وللمراجعــة نقول : أننا فى مثال الجنين المذكور ، رأينا ثلاثة نواميس طبيعية .. تماثل ثلاثة نواميس روحية ، أو معنوية ، من الأربعة السابق ذكرها.

١- التعليمات الصحية العامة بوجوب الغذاء والتنفُّس والتريُّض .. والتى يعجز الجنين ــ قبل ولادته ــ عن تنفيذها .. وهى تماثل **ناموس الله** فى الوصايا (الناموس رقم ١) .. والتى يعجز المجاهد الناموسى فى (رومية ٧) ــ قبل عتقه ــ عن تنفيذها.

٢- ناموس الأَجِنَّة .. الذى يحبس هذا الجنين فى بطن أمه .. مانعاً إياه من استخدام أعضائه وممارسة حياته الطبيعية .. وهو يماثل **ناموس الخطية** (الناموس رقم ٢) .. الذى يحبس " مجاهد رومية ٧ " .. مانعاً إياه من ممارسة حياته الروحية ، والعيشة بالبر والتقوى.

٣- ناموس قوة الحياة لدى أمه ، والذى يطلق هذا الجنين ويعتقه .. فلا يعود جنيناً حبيساً .. بل وليداً منطلقاً .. ممارساً لكل مظاهر الحياة .. هذا الناموس الذى أخرجه إلى النور ، ووضع قدمه علــى أول الطريق ، يماثل **" نامــوس روح الحياة فى المســـيح يســوع "** (الناموس رقم ٤) ، الذى يعتق " مجاهد رومية ٧ " ، من ناموس

الخطية .. ويضع قدمه على أول طريق البر ، فيستطيع أن يجاهد الجهاد الحسن ، ثم يكمل السعى فى طريق البر (٢تى٤:٧) .. أيضاً يثبت خطواته على أول نهج القداسة العملية ، فيحياها (تى٢:١٢) ، بل يستمر مكمِّلاً لها فى خوف الله (٢كو٧:١).

انتهاء الصراع

مما تجدر ملاحظته ، فى مثال الجنين – وهو أمرٌ فى غاية الأهمية – أن هذا الجنين بعد أن يخرج إلى الحياة وليداً ، نجده يمارس حياته الطبيعيـــة ، دون تكلُّف أو تغصُّب .. أو جهاد أو صراع .. ودون التزام ناموسي بقانون يقول له يجب أن تتنفس .. و .... إلخ .. فهذه وغيرها ، تكون شيئاً تلقائياً يحدث له طبيعياً .. ويمارسه غريزياً .. دون إِعمال لأية قوانين موضوعة .. أو تنفيذ لأية نواميس مفروضة.

هكذا المصارع (فى رومية ٧) ، بعد أن كان واضعاً نفسه تحت التزام فاشل بتنفيذ الناموس (رقم ١) .. نجده – بعد عتقه من " ناموس الخطية " (رقم ٢) ، بواسطة " ناموس روح الحياة " (رقم ٤) – يمارس حياته الروحية ، دون تغصب أو صراع .. ودون نامـــوس مفروض عليه .. ولو كان ناموس الله نفســـه (رقم ١) .. أو أى ناموس آخر يقول له افعل هذه ولا تفعل تلك .. بل يجد نفسه منساقاً تلقائياً إلى حياة البر العملى ، دون جهاد .. ومرفوعاً إلى حياة القداسة العملية ، دون صراع.

وهذا هو العتق فى مفهومة الشامل.

فليس العتق هو نجاحى فى الجهاد .. وانتصارى فى الصـــراع .. فأمتنع عن الشر الذى لست أريده .. وأفعل الصالح الذى أريده .. بل إن العتق هو انتهاء هذا الصراع من أساسه .. وسيرى فى طريق البرِّ تلقائياً .. ممتنعاً عن الشر الذى لست أريده .. وفاعلاً الصالح الذى أريده .. بقوة خارجة عنى .. أجدنى أسيراً لها .. دون تغصُّب أو مصارعة .. إنها قوة " الحياة التى فى المســـيح يســـوع " .. القادرة علـــى ابتلاع الموت نفســـه .. وقت مواجهتها للموت مستقبلاً (١كو١٥: ٥٤ ، إش٢٥: ٨) .. ومن الذى يبثها فى مخادع كيانى الذى يحوى – ضمن ما يحوى – جســـداً مســـكوناً بخطية ، قادرة

أن تسبينى إلـــى ناموسهـــا (رقم ٢) ؟ .. إنه الروح القـــدس .. الذى مع كونه يسكن فىَّ .. إلا أنه هذه المرة ، يمارس عملاً جديداً ـ بصفته " روح الحياة فى المســـيح يســـوع " ـ إنه يمتد بمظلة ناموسه ، فيحتوينى ، ويمدنى بقوة أشبه ـ مع الفارق ـ بقوة المحاليل الطبية التى تُعَلَّق للمحتضر .. متَّصلةً بشرايينه .. مُنْبَجِســـةً فى دمائه .. باثَّةً فى أوصاله الحيوية المفقودة .. فتجده مرة أخرى ـ فى جِدَّة الحياة ـ هاباً منتفضا ، ممارساً لكل مظاهر تلك الحياة .. دون أن يبذل أى مجهود من جانبه للشفاء.

سـؤال هـام

نصل الآن إلى سؤال هام .. بل ربما كان أهم سؤال فى هذه القضية .. وهو ؛ هل يمكن للمؤمن ـ بعد أن اختبر العتق ـ أن يخطئ ؟.

ومن نصّ السؤال نستطيع أن نرى ملامح الإجابة .. يقول السؤال : هل يمكن للمؤمن أن **يخطئ** ؟ .. ولاحظ كلمة **يخطئ**.

والإجابة ؛ نعم .. ممكن أن **يخطئ**.

كيف ؟.

يتناول السؤال موضوع **مجرد خطأ** المؤمـن بعد أن اختبر العتق ، وهذا شيئ .. **وعودته للخضوع لناموس الخطية** شيئ آخر.

وحتى نرى الفارق ، نعود ـ **أولا** ـ إلى مثال الجنين .. لنرى أن الطفل بعد خروجه من بطن أمه ـ بقوة حياتها ـ ينتقل إلى دائرة مختلفة تماماً عن تلك التى كان فيها من قبل .. وينقطع كل ما يربطه بها .. لقد انقطع الحبل السُّرى .. وهو الآن يمارس حياته الطبيعية دون تغصُّب .. أو حتى صراع .. ودون ناموس مفروض عليه .. بل يمارسها تلقائياً ـ كما رأينا ـ دون أدنى احتمال لعودته إلى بطن أمه ثانية ليستعبد لناموس الأجِنَّة .. إنه والحال هكذا يصل بنا إلى ما كتبه الرسـول : " فإن الخطية لن تسودكم (وناموسها رقم ٢ لن يستعبدكم) لأنكم لستم تحت الناموس (رقم١) بل تحت النعمة ". (رو٦:١٤).

لكن هذا الطفل المولود .. وإن كان لا يمكن له أن يدخل بطن أمه ثانية ، ليخضع لقانون الأجِنَّة ، فيتوقف تنفسه ، ويمتنع أكله ، ويستعصى شربه ، ويعود مستخدماً الحبل السُّرى .. إلا أنه يمكنه أن يسقط فى الماء .. فيتوقف تنفسه لحيظات .. دون أن تكون هذه هى القاعدة التى كان عليها ـ بصفة مستمرة ـ فى بطن أمه .. إن توقف تنفسه تحت الماء شيئ .. وتوقف تنفسه فى بطن أمه

شيئ آخر .. سقوطه فى الماء شيئ .. وعودته إلى الحبس فى بطن أمه شيئ آخر .. الأولى شيئ ممكن .. والثانية شيئ مستحيل .. أم " لعله (الإنسان) يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد " (يو٣:٤).

وإلى تشبيه – **ثان** – زيادة فى التوضيح :

أغلق العمال باب المخزن على زميل لهم بعد انتهاء فترة العمل .. أخذ هذا الزميل يخبط الباب بيديه ورجليه .. لكن زملاءه كانوا قد انصرفوا .. والباب مغلق بأقفال لها مواصفات فنيَّة ، تمنع كسرها ، وتحول دون اقتحامها ..وهى أقوى من أى قوة لهذا العامل أو غيره ، حتى لو خبط رأسه فيها .. فبات ليلته حبيساً لجدران المخزن .. بلا أمل فى الخروج منه .. مبيعاً تحت مواصفات هذه الأقفال .. بلا رجاء فى كسرها أو التغلب عليها .. إنه هنا مثل المجاهد فى (رومية ٧) .. والمحبوس داخل ناموس ، تهون أمامه مواصفات أقفال المخزن .. فهو محبوس داخل ناموس الخطية الكائن فى أعضائه (رقم ٢) .. يائس من إمكانية التغلب عليه والخروج من أسره .. مهما أراد أو حاول.

وفى اليوم التالى أغلق العمال باب المخزن على زميل آخر .. هنا تساوى زميل اليوم مع زميل الأمس ، فى أن كلاً منهما داخل المخزن ومغلق عليه .. لكن زميل اليوم كان قد علم – من قبل – بوجود باب سرِّى للمخزن .. وسبق له أن استخدمه .. لن يجاهد إذاً .. ولن يخبط الباب الأصلى .. بل لديه أمل فى الخروج .. دون صراع مع أقفال .. أو التعلق بكوَّة .. أو اقتحام لحائط .. هنا لا يمكن أن نعتبر أن هذا العامل محبوساً داخل المخزن .. مع أنه فى موقف مماثل لزميل الأمس .. لأنه حتى قبل أن يستخدم الباب السِّرِّى ، فقد أدرك وجوده وسبق له استخدامه .. وسريعاً ما سوف يستخدمه .. ولن يبيت ليلته رهين المخزن .. إنه هنا مثل المؤمن الذى سبق واختبر العتق .. فمع أنه إن أخطأ يتساوى ظاهرياً مع المجاهد المسبى داخل ناموس الخطية .. لكنه – وفى حقيقة الأمر – مختلف عنه .. لأنه سبق أن انكشف له الباب الفعَّال " لناموس روح الحياة فى المسيح يسوع " .. وسبق أن دلف منه إلى الحرية من ناموس

الخطية .. ولديه رجاء فى الخروج هذه المرة أيضا ، من محنته عن طريق هذا الباب.

إلا أن هناك اختلافاً جوهرياً ــ فى هذا التشبيه ــ بين العامل الذى أدرك وجود الباب السرِّى ، وبين المؤمن الذى عرف طريق العتق بواسطة ناموس روح الحياة .. فالأول لا يبالى ولا يكترث إن أغلق عليه زملاؤه باب المخزن ، مادام يعرف الحل .. أما الثانى ــ أى المؤمن الذى يخطئ ، بعد أن اختبر العتق وعرف طريقه ــ فلا يأخذ الأمر ببساطة أو لا مبالاة .. كلا .. إنه على العكس يحزن ويتألم لفعلته .. وربما اقترب من بطرس تلميذ الرب ، بعدما أنكر سيده .. " لقد خرج هذا (بطرس) إلى خارج وبكى **بكاءً مراً** " (مت٢٦:٧٥) .. ألم يكتب صاحب المراثى قائلاً : " ذكر .... تيهانى **أفسنتين وعلقم** " (مرا ٣:١٨) ؟.

نعود إلى استرسالنا .. وإلى القول بأن خطأ المؤمن ــ بعد اختباره العتق ــ شيئ .. وعودته للخضوع لناموس الخطية شيئ آخر.

ذلك لأن خطأ المؤمن ــ بعد اختباره العتق ــ لا يعتبر رجوعاً لبيعه تحت الخطية وخضوعه لناموسها .. بل زلة وقع فيها .. حال كونه مدركاً ومختبراً الأسلوب الصحيح لعدم تكرارها .. هى أو غيرها.

بينما المؤمن المصارع فى (رومية ٧) ــ والذى لم يختبر العتق من " ناموس الخطية " (رقم ٢) بعد ــ هو مؤمن **تائه** .. لا وضع قدمه على أول الطريق الصحيح .. ولا عرف السبيل إليه .. يصارع ولكن دون فائدة .. تتجاذبه فى صراعه ، النواميس الثلاثة ؛ (رقم ١) و (رقم ٢) و (رقم ٣) .. وينتصر ناموس الخطية (رقم ٢) ، فى كل جولة .. وينتهى الحال به إلى الامتثال لهذا الناموس ، والخضوع لسلطانه مكتشفاً فى الختام أنه " جسدىٌّ مبيعٌ تحت الخطية " (رو٧:١٤) .. مستعبدٌ لناموسها .. لا يرى فى الأفق بارقة نور بعد.

أما من اختبر فاعلية " ناموس روح الحياة " وانطلق ــ نتيجة لذلك ــ من إسار ناموس الخطية ، فقد انكسرت لديه ثلاثة حواجز : **الحاجز الفعلى** ؛ الذى كان يحبسه داخل ناموس الخطية ، فيفعلها .. **والحاجز الفكرى** ؛ الذى كان يحبسه داخل دائرة الجهل بالأسلوب الصحيح للعتق ، فيحتار فى الأمر .. **والحاجز النفسى** ؛ الذى كان يحبسه داخل مجال اليأس واللا أمل والإحباط ، فيشقى من ذاته .. لقد أدرك الآن ــ بل واختبر ــ أن هناك إمكانية للفكاك من هذا كله .. وتهاوت هذه الحواجز التى ظن ــ فى شقائه ــ باستحالة تخطيها.

فإن أخطأ بعد ذلك فلن يدخل ــ بخطئه هذا ــ إلى تلك الدائرة الرهيبة من الصراع ، الذى تلازمه الحيرة .. ويعقبه الفشل .. ويُختتم باليأس.

نعم .. إنه إن أخطأ ، فلن يدخل بقدمه مرّة أخرى إلى هذه الحلقة المفرغة والرهيبة .. صحيح أنه يحزن .. ويتألم .. وقد يبكى بكاءً عادياً ، أو حتى بكاءً مراً .. لكنه لن يدخل إلى داخل دائرة الصراع ؛ صراع (رومية ٧) مرة أخرى .. لأنه قد عرف واختبر أسلوب النصرة .. دون صراع .. ولسوف ينتصر دائماً ، من خلال اتباعه هذا الأسلوب ؛ ألا وهو استمطار الغوث من خارج ذاته .. والاندراج تحت مظلة " ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع ".

لذلك لم نبتعد عن الصواب إن قلنا ؛ أن العتق ، هو عتق من الصراع المرير بالدرجة الأولى .. قبل أن يكون عتقاً من ناموس الخطية وسلطانها المستبد ، بالدرجة الثانية.

إن أخطأ أحد

بعد توافر هذا الأسلوب للعتق من ناموس الخطية وسلطانها .. حقَّ للرسول يوحنا أن يكتب إلـــى أولاده " **لكى لا يخطئــوا** " (١يو٢:١).

لأنه ما دام السبيل إلى ذلك أصبح ميسوراً عن طريق " ناموس روح الحياة فى المســــيح يســوع " ، **فلا مدعاة إذاً للوقوع فى الخطأ.**

إلا أن الرسول يوحنا يضيف " **وإن أخطأ أحدٌ** " (١يو٢:١) .. ما معنى هذا ؟ .. معناه أن احتمـــال الخطأ وارد .. وصدوره أمـــر محتمل .. ليس مـــن " مجاهد رومية ٧ " فقط .. بل من الذى اختبر العتق أيضا .. فالمجاهد المذكور **مسبىٌّ** ومأسور (رو٧:١٤) .. وليس منطقياً أن تُوجه إليه أية إرشادات ، أو تُطلب منه أية طلبات .. لأنه **ليس حراً** ، يفعل ما يريد .. بل " ما ليس يريده فإياه يفعل " (رو٧:٢٠) .. لذلك فكلام الرسول يوحنا بالتالى ، موجَّه بالدرجة الأولى ، إلى شخص حرٍّ .. هو المؤمن الذى أُعتق من حلبة (رومية ٧) [١١].

لكن كيف يخطئ هذا الذى اختبر العتق ؟ .. إنه يخطئ لعدم السهر.

يقول قائل : ألم تظل تكتب فى العدد الماضى ، وفى هذا العدد عن عدم جدوى الجهاد فى هذا المضمار .. أفتعود الآن لتقول بوجوب السهر وعدم التهاون ؟.

نعم السهر ــ وليس الجهاد الناموسى ــ ولكن السهر فى أى مجال .. هل هو السهر على طبيعتى القديمة .. فأقيم من نفسى **حارساً** على أميال قلبى .. وبعدها كلمات لسانى .. وبعدها .... وهلم جراً .. (مثل " الباشا " فى العدد السابق) ؟ .. كلا طبعاً .. لأن هذه الطبيعة هى الأقوى .. وكما رأينا ستغلبنى .. لذلك فإن المرنم يطلب من الله حارساً آخر ، خلاف نفســه على هذه .. فيكتـــب " اجعل يارب **حارساً** لفمى . احفظ (أنت) باب شفتىَّ " [١٢] (مز١٤١:٣).

إذاً فـــى أى مجال يكون السهر ؟ .. إنه يكون علـــى استمرارى منتهجـــاً

الأسلوب الصحيح السابق ذكره .. فارغاً من ذاتي .. نافضاً يدي من إمكانياتي .. مقتنعاً بعجزي .. واضعاً وجهي في التراب لقلة حيلتي .. غير معتدٍّ بما وصلت إليه يوماً من نصرة على الخطية .. غير معتبر ذلك تاريخاً مجيداً .. أو خبرة تَقَوِيَّة طويلة ، تكفي لكبح جماح البرص الروحي الداخلي .. حيث أن اعتدادي بذاتي ، أو بإمكانياتي ، أو بتاريخي في الإيمان ، ينتهي بي إلى الهزيمة والسقوط .. منطبقاً عليَّ قول الحكيم : " قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح " (أم١٦: ١٨).

إنه السهر على إلقاء رجائي ونفسي " بالتمام على النعمة " (١بط١: ١٣) .. رامياً كياني – كمستغيث من ذاتي – إلى أحضان " ناموس روح الحياة في المسيح يسوع " .. ناظراً إلي الرب وحده .. مصدر قوتي .. وسبب نصرتي .. وأساس عتقي .. ناسياً كلَّ شيئ فيَّ .. **حسناً كان أم ردياً**.

لأني إن نظرتُ إلى ما هو **حسنٌ** فيَّ – وهو في الأصل من الرب ، وليس مني – **تكبَّرْت** .. لأنه " أي شيئ (حسنٌ) لك لم تأخذه (من الرب) . وإن كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ (أي كأنك أتيت به من ذاتك ولم تأخذه من الرب) " (١كو٤: ٧).

كم كان محقاً رسول المسيح المغبوط بولس عندما كتب : " أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت . ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء (ويقصد به كل شيئ حسنٌ كتضحياته من أجل المسيح) وأمتدُّ إلى ما هو قدام " (في٣: ١٣).

أما إن نظرتُ إلى ما هو **ردئ** فيَّ ، أمسيت مثل " **حزِيَن** " في القصة التالية ؛ " شباك المنور ".

نستكمل قول الرسول يوحنا – " التلميذ الذى كان يسوع يحبه " (يو٢٠: ٢) – لنجده يضيف .. مدركاً كمال محبة الرب " .... وإن أخطأ أحدٌ **فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار** وهو كفارة لخطايانا . ليس

لخطايانا فقط بل (لخطايا) كل العالم أيضا " (١يو ٢: ١، ٢).

هذا الشـــفيع يقوم بخدمتين ــ على التوازى ــ خدمة هناك عند الآب .. وخدمة هنا عندنا.

فعند **الآب** بما له من برٍّ فى ذاته ، وبما أحرزه من برٍّ شرعىٍّ لنا نتيجة كفارته .. يضمن ثبات مركزنا عند الآب قبل ، وأثناء ، وبعد أن نخطئ .. ويضمن أن نظل أبناءً ، ويظل الآب هو **الآب**.

أما خدمته لنا هنا ، فهى استخدامه كافة الوسائل لرد نفوسنا إليه ، معترفين بخطيتنا .. ثم ردّ شركتنا معه .. لنواصل حياة البر العملى.

ولمزيد من التفصيل ، يمكن الرجوع لعدد " لنا شـــفيع " من هذه السـلسـلة.

الخلاصــة

خلاصة القول ؛ أن المؤمن لكى يختبر العتق من ناموس الخطية الكائن فى أعضائه ، لابد له من المرور بالخطوات التالية :

١-وصوله إلى الفشل التام فى جهاده ضد الخطية الساكنة فيه ، حال وضعه نفسه تحت الناموس ، لينفذه بمجهوده الذاتى.

٢-وصوله إلى الاقتناع الكامل بأنه لا أمل يُرجى من جهاده الناموسى هذا ــ حتى مع وجود الطبيعة الجديدة فيه ــ فيرفع ــ فى عجز ــ راية الهزيمة.

٣-الاعتراف بشقائه ، نتيجة الهزيمة .. إنه بذلك يُظهر أنه يقف ــ إلى درجة الشقاء ــ فى صف الله القدوس ، ضد الخطية الساكنة فيه .. وهذا الاعتراف يتلخص فى إطلاقه للجزء الأول من الصرخة ؛ " ويحى أنا الإنسان الشقى " (رو٧: ٢٤).

٤-إعلان إفلاسه ، وخلُوِّ جعبته ، ونضوب إمكانياته .. واحتساب نفسه عاجزاً ــ إلى درجة الموت ــ أمام قوة ناموس الخطية الذى فيه .. وهذا الإعلان يتلخص فى إطلاقه للجزء الثانى من الصرخة ؛ " من ينقذنى من جسد هذا الموت " (رو٧: ٢٤).

٥-إن اعترف بشقائه (بند ٣) .. وأعلن إفلاسه (بند ٤) .. اكتشف على الفور وجود المنقذ ــ وهو شخص غيره ــ إنه يسوع المسيح ربنا وفى معيته الإنقاذ.

٦-إندراجه تحت الناموس الجديد الذى يقدمه له ــ ولا أقول يفرضه عليه ــ المنقذ .. ألا وهو " ناموس روح الحياة " .. الذى ينبسط فوقه ــ كخطوة تالية (للبند ٥) ــ وهو المستغيث من شرِّه ، ومن

فشله تحت النامــوس (رقم ١) .. كما مــن حيرته وجهله بالأسلوب الصحيح للانتصار .. كما من يأسه وإحباطه.

٧-ولأن هذا الناموس الجديد هو " ناموس روح الحياة " ـ وهو قد وصل إلى درجة الموت ـ فما أن ينبسط عليه هذا الناموس ، حتى يختبر قوة هذه الحياة الناصــرة .. وهى قوة خارجة عنه ـ وهو العاجز ـ تبعث فيه القدرة على الانتصار ، دون أدنى مجهود ناموسى ذاتى ، يبذله ضد ناموس الخطية العاتى الكائن فى أعضائه.

٨-أكثر من هذا .. إنه سيكتشف أن " ناموس روح الحياة " له القدرة ليس فقط على الانتصار وقت الصراع .. بل على إلغاء هذا الصراع من أساسه قبل أن يبدأ .. وأنه لن يكون هناك صــراع .. وذلك لسببين :

أ- أنه ما دام قد سلَّم من الأصل بعدم جدوى صراعه .. ورفع راية الهزيمة .. فقد انسحب من الساحة .. تاركاً الصراع لمن يقدر عليه.

ب- أن ناموس روح الحياة ـ بعد اختباره العتق ـ سوف يكون ملازماً له ، ومنبسطاً عليه .. من ثم سوف يوافيه قبل أن يهاجمه أو يتحرك فيه ناموس الخطية الكائن فى أعضائه .. وبالتالى قبل أن يبدأ أى صراع من الأساس.

إنه سيكتشف أن العتق ليس فقط من الهزيمة .. بل من الصراع الناموسى نفسه .. إنه العتق من ناموس الخطية بكل مشتملاته .. بدءاً من تحرُّك الخطية بالشهوة .. وحتى الصراع الناموسى المرير ، المتبوع بالهزيمة .. إذ لا صراع ـ فى هذا المضمار ـ بغير هزيمة .. والعتق من الهزيمة يستلزم ـ بالضرورة ـ العتق أولاً من الصراع.

٩-خروجه ــ بعد هذا ــ إلى دائرة أخرى .. ينسى فيها ذاته وجهاده .. فلا يشعر بتحرك " ناموس الخطية " فيه .. لأنه لا يتحرك .. طالما بات تحت تأثيرات ، وقوة ، وتظليل " ناموس روح الحيــاة " .. إن " ناموس الخطية " والحال هكذا ، يكون قد وُضع فى حُكم الموت .. (مثل " ميمى بك " راقداً فى سريره .. حياً ولكن بلا حراك) (٢) .. لأنه إن كان هو أضعف من " ناموس الخطية " الشرس الكائن فى أعضائه .. فإن " ناموس روح الحياة " أقوى من كل شيئ .. مــن " ناموس الخطية " .. وحتى من ناموس الموت نفسه .. وله القدرة على كبح (فرملة) ناموس الخطية وتقييده .. وجعله كما لو كان منعدم الوجود .. مثل الميت .. وهذا هو معنى العبارة ؛ " بالروح تميتون أعمال الجسد " (رو٨:١٣).

****

إن " ناموس روح الحياة فى المســـيح يســوع " هو وحده الذى يستطيع أن يصل بالمؤمن ــ بكل يسر وسهولة ، ودون جهاد ناموسى ــ إلى تنفيذ هذه العبارة ؛ " فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع الذى هو عبادة الأوثان " (كو٣:٥) (١٣).

" لذلك أشكر الله بيســوع المســـيح ربنا .... لأن ناموس روح الحيــاة فــى المســـيح يســوع قــد **أعتقنى** مــن نامــوس الخطيــة والمــوت " (رو٧:٢٥ ، رو٨:٢) .. " أما الآن فإذا **أُعتقتم** من الخطية وصرتم عبيداً للبر فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية " (رو٦:٢٢).

شبَّـــاك المنور

الجيزة فى ١٩٩٦/٦/٢٨

الابنة العزيزة

نعمة وسلام

لعلك بخيرٍ مـن كلٍ وجه مع زوجك الأخ المحبوب .... مع الكريمـة ابنتكم .... مع كل أفراد العائلة.

تسلمت رسالتك مساء اليوم .. وتألمتُ كثيراً عندما قرأتُها ، وذلك مشاركةً منى لألمك .. بينما كنت أوَّد أن يدوم سلامك .. وتستمر سعادتك .. تلك التى رأيتها عندما كنتِ فى القاهرة .. ولمستها عندما كلمتُك فى التليفون بعد سفرك .. لكنك كتَبْتِ إلىّ تقولين ؛ أن دوام الحال من المحال.

على أنه إن كان التغيير ينتابنا وينتاب كل شيئ .. إلا أن هناك مـن لا يتغير .. إنه من " هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد " (عب١٣:٨).

إن أبديتنا — **فى المستقبل** — مرهونة **بكفايته** .. وخلاصنا النهائى متوقف على أمانته ، وثباته فى محبته .. وعلى كمال عمله على الصليب من أجلنا .. كمـا علـى استمراره مؤدياً وظيفتـه الكهنوتية لنا .. ماذا يقول الرسـول ؟ : " من أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول. فمن ثَمَّ يقدر أن **يخلص أيضـاً إلى التمام** الذين يتقدمون به إلـى الله إذ هو حىٌّ فـى كل حين ليشفع فيهـم " (عب٧: ٢٤،٢٥).

كما أن سعادتنا وسلامنا — **فى الحاضر** — متوقفان فقط على **النظر إليه وحده** .. لا إلى ذواتنا .. ماذا تنتظرين أن تكتشفى فى نفسـك إن أنت نظرت إليها ؟ .. هل تتوقعين أن تجدى رصيداً من القداسة .. أم تكتشفى أن لك أجنحة كالملائكة ؟ .. ماذا كان يُنتظر من موسى أن يجد فى عبِّه ؟ .. قال له الرب : ادخل يدك وستعرف .. أدخلها وأخرجها فإذ بها برصاء **مثل الثلج** (خر٤:٦) .. وماذا كان فى عبِّ بولس ؟ .. هو أجاب عن ذلك قائلاً : " فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىَّ أى فى جسدى شيئ صالح " (رو٧:١٨) .. وغيره ، وغيره من

القديسين .. فماذا تنتظرين أن تجدى فى نفسك ؟ .. أم لعلك أفضل من الرسل والأنبياء ؟ .. وما الذى تتوقعين أن تكتشفيه داخلك سوى البرص الروحى .. مثلى ، ومثل كل إنسان ؟.

إننا لا ينبغى لنا أن نندهش إن اكتشفنا هذا الاكتشاف ــ مع أنه **اكتشاف تعيس** ــ لأن هذا شيئ طبيعى .. لكن دعينى أدلك على **اكتشاف سعيد** .. وهو سعيد لأنه خارج عن دائرة أجسادنا ، أو أنفسنا ، أو ذواتنا .. **إنه المسيح فى المجد** .. إن النظر إليه يثبت المؤمن ، ويقويه ، ويعزيه ، ويفرحه ، ويسعده .. بعكس النظر إلى الذات.

****

يسكن " حِزيِّن " مع زوجته " فكيهة " وأولاده فى أحد أحياء الإسكندرية العشوائية .. فى شقة ضيقة بها حجرة صغيرة ــ تطل على " حارة سدّ " ــ احتلها أولاده الثلاثة لزوم الاستذكار .. أما الحجرة الثانية والأخيرة ــ وهى أضيق ــ فكانت ــ هى والمنافع ــ تطلُّ على منور ضيق .. تتزاحم فيه بالوعات المبنى كله .. والتى كانت " تطفح " فى معظم الأحيان .. وكانت معظم إقامة " حزيِّن " وزوجته مع طفلهما الرابع الرضيع فى هذه الحجرة .. فبعد أن يعود من عمله ، يدلف إليها .. ويفتح شباك المنور .. ويجلس على الأريكة قبالته .. كى يتناول غذاءه .. ثم يتمدد قليلاً .. ليقوم ويجلس ثانية على الأريكة .. قبالة الشباك .. حتى موعد العشاء ثم ينام .. وهكذا كانت تمضى حياة " حِزيِّن ".

فى البداية كانت رائحة البالوعات تخنق أنفاسه .. وبعد أن صارت فقرة إجبارية فى برنامجه اليومى ، اعتاد عليها ولم تعد تضايقه.

وكان " لحِزيِّن " عم غنىٌّ .. ابتدأ حياته عصامياً .. انقطع عن العائلة .. وهجر الأقرباء .. وعاش لنفسه طول عمره .. لم يتزوج ، ولم ينجب .. لم يختلط بالأهل ، ولا جاملهم فى مناسبة .. عمل وكافح حتى اشترى عمارة على كورنيش " سبورتنج " .. وكوَّن رصيداً فى البنك .. وامتلك أرضاً بالصعيد.

وفى أحد الأيام ، جاء من يخبر " حِزيِّن " ، بأن عمك " وحيد " قد مات.

آلت إلى " حِزيِّن " شقة مفروشة فى عمارة عمه .. بالإضافة إلـى حصته فى أطيان الصعيد .. عدا جزء لا يستهان به من رصيد البنك (١٤) .

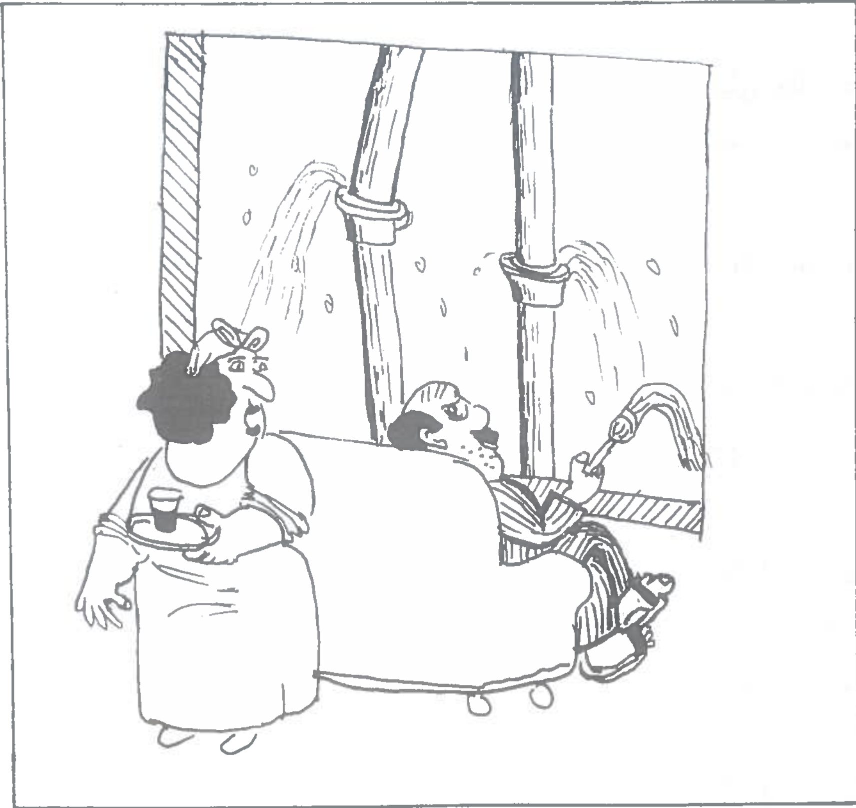
حزم " حِزيِّن " ما حزم من متاعه المتهالك .. متاع الموظف البسيط .. رغم اعتراض زوجته .. واستغنى عن الباقى .. ورحل إلى شقة الكورنيش .. حجراتها أربع ، تطل على البحر .. أما الصالة والمنافع فتطل على منور قبلى .. استقلَّ كل ولد من الثلاثة بحجرة .. وصار لحِزيِّن وزوجته مع الرضيع حجرة رحبة .. لها شرفة واسعة .. يمتد أمامها البحر ، والخلاء ، والأفق الفسيح.

تغيرت حياة الأسرة بتغيير السكن ، وبزيادة دخلها الذى أتاحه لها عائد رصيد البنك .. وبات كل ولد ــ بمفرده ــ يقيم ويستذكر فى حجرة وثيرة .. لها نافذة على البحر .. والزوجة بعد أن تنهى أعمالها المنزلية تقضى بقية يومها فى شرفة حجرتها.

إلا " حِزيِّن " .. فبعد أن يعود من عمله ، كان يطيب له أن يجلس فى الصالة .. على الأريكة إياها .. بجوار شباك المنور .. مع أنه لا ينفذ الهواء .. ربما خوفاً من هواء البحر فى شرفة حجرته .. أو لعله عدم الاعتياد على هذا الترف المفاجئ .. أو ربما كان يستكثر على نفسه أن يتمتع دفعة واحدة بهذا الترف .. فلكأنما أراد يدَّخره ، خوفاً من أن يستهلك الهواء كله فـى فترة وجيزة! .. فلا يتبقى له شيئ للمستقبل .. الأولاد يتـندرون .. والزوجة تنادى عليه :

- ♥ " يا حِزيِّن تعال اقعد فى الهوا ".
- • " هنا كويس ".
- ♥ " قوم يا راجل .. دا الجو هنا جميل ".
- • " هنا كويس ".
- ♥ " أنا عارفة إيـه اللى عاجبك عندك .. الحر .. واللاَّ المنور ، واللى فيه ؟ ".

- " بقول لك هنا كويس ".
- ♥ " تعال اقعد على ما اعمل لك كباية شاى ".
- " مش عايز شاى ".
- ♥ " أمَّال عايز بس تقعد كده على طول .. وشك فى المنور" .
- " يا ستى أنا ما اشتكتش ".
- ♥ " نقلنا للشقة الجديدة .. ولسَّة ربنا ما تابش عليك م المناور ؟".
- " ماله المنور ؟ ".
- ♥ " حكَمْ ! .. صحيح فيه ناس مش وش نعمة ".



وهكذا ــ بالنسبة لنا ــ أيتها الابنة العزيزة.. فقد صرنا ورثة .. لا لثرى يمتلك العقارات .. بل ورثة " مالك السماوات والأرض " نفســه (تك١٤: ١٩) .. ولا لقريب أنانى بخيل.. بل لمن ــ فى صلاحه ــ يحب أن يعطى ويهب مجاناً .. ولا لمن يريد أن يكون منقطعاً عن ذوية " كوحيد " .. بل لمن يريد أن يأتى بأبناء كثيرين إلى المجد (عب٢: ١٠) .. صرنا " ورثة الله ووارثين مع المســيح " (رو٨: ١٧) .. لا فى شقة تطل على كورنيش الإسكندرية .. أو الريفييرا .. أو حتى فى جزر ميامى ، أو على البحر الكاريبى .. بل وارثين مع المسيح ، فى السماء عينها .. ولنا من الآن أن نتمتع بالدخول إلى شرفات تطل على السماء .. ننظر منها إلى يســوع " فنراه مكللاً بالمجد والكرامة " (عب٢: ٩).

لذلك ليس لنا أن ننظر من الشرفة التى تطل على العالم .. فهى تطل علــى " **حارة ســدّ** " .. فالعالم مستقبله " سدّ " .. لأن العالــم يمضــى وشهوتــه (١يو٢: ١٧) .. " وهيئة هذا العالم تزول " (١كو٧: ٣١) (١٥) .

وليس لنا أن ننظر من الشباك الذى يطل على ذواتنا .. فهو يطل على **منور** ملىء بالبالوعات الطافحة ، والروائح الخانقة.

فإن كان تعيســاً من يفتح شباكاً يطل علــى حارة العالم " السدّ " ، فالأكثر تعاسة ــ على الإطلاق ــ هو من يفتح شباكاً يطل على منور ذاته ، وما فيها من برص روحى ، وطبيعة رديئة.

ماذا فعل استفانوس الذى كان **تعيساً فى ظروفه الخارجية** ، فقد كان يُرجم .. لكنه صار **سعيداً فى أعماقه الداخلية** ، رغماً عن رجمه .. لماذا ؟ .. لأنه أغلق جميع النوافذ والشبابيك التى تطل على نفسه .. وعلى الناس .. وعلى الحجارة .. **وعلى الموت نفسه** .. نعم على الموت .. مثل الشونمية التى أغلقت الباب **على الميت** (٢مل٤: ٢١) .. ومثلما " **رفع (أبونا) ابراهيم عينيه** ، فرأى (فى تجربته) كبشاً ممسكاً فى الغابة بقرنيه " (تك٢٢: ٤) .. **رفع هو ــ أى استفانوس ــ**

رأسه إلى شباك مفتوح ، له ولنا على الدوام .. لقد " شخص إلى السماء فرأى (فى محنة إعدامه) مجـد الله ويســوع قائماً عن يميـن الله " (أع٧:٥٥) .. لقد " رأى مـن لا يـُرى " (عب١١:٢٧) .. " فتشدد " مثل موســى .. وقال : " ها أنا أنظر السماوات مفتوحة (فهو لم يفتحها) وابن الإنسان قائماً عن يمين الله " (أع٧:٥٦) .. لذلك فمع قسوة الرجم ، ووحشية راجميه ، فإنه لم يشعر بأى ألم جسدى ، بل ظل وجهه يُرى " كأنه وجه ملاك " (أع٦:١٥) .. ولم يشعر بأى ألم نفسى ، بل صلى من أجل راجميه وقاتليه .. وطلب مـن الرب أن يسامحهـم ، بعد أن سامحهم هو (أع٧:٦٠) .. هل كان استفانوس ملاكاً ، لا إنساناً مثلى ومثلك ؟ .. كلا .. هل خلا جسده من الخطية .. أو خلا عبُّه من البرص ؟ .. كلا أيضاً .. إذاً كيف احتمل ما لا يُحتمل ؟ .. السر ؛ أنه كان ينظر من شرفة تطلُّ على السماء ، فكان يرى المسيح فى المجد.

مالك إذاً بنفسك ؟ .. ومالك بالماضى ، وهل كان عشباً وقشاً ؟ .. " كان يا ستى زىّ ما كان " .. ومالك بالحاضر ؟ .. وهل أنا مؤمنـــة أم لا ؟.. أنت مؤمنة .. لكن مؤمنة تعيسة تشاركين حزِيِّن فى هوايته الغريبة ، بالجلوس عند شباك المنور .. وتزيدين عنه بأنك تتأملين فى المنور .. وتفتشين بين القاذورات عسى أن تعثرى على شيئ طيب .. وتظلى تسألين هذه الأسئلة وكلها تدور حول " أنا " .. هل أنا ؟ .. وهل أنا ؟ .. وكلها أسئلة خاطئة .. وتسبب التعاسة والبؤس .. ما هى الأسئلة الصحيحة إذاً ؟ .. **إنه سؤال واحدٌ فقط لا غير** .. ما هو ؟ .. إنه ؛ **هل المسيح يكفينى رغماً عما أنا عليه من نقص وقصور .. ورغماً عما اجتاز فيه من تجارب وظروف .. حتى لو تضاعفت هذه الظروف آلاف المرات ؟ .. هل يكفينى أم لا ؟.**

ويتفرع هذا السؤال بدوره ليشمل كل شيئ .. هل يكفى أمراضى ، أم لا ؟ .. هل يكفى أعصابى ، أم لا ؟ .. هل يكفى شوكتى ، أم لا ؟ .. هل يكفى بَرَصى ، أم لا ؟ .. هذا هو السؤال الصحيح الذى ينبغى أن أوجهه إلى نفسى .. ولأن

الإجابة لا يمكن أن تكون لا ، بأى حالٍ .. **بل هى نــــعم .. يقينا وعلى طول الخط** .. إذاً فطوبى لى .. ليس فقط إن أجبت على هذا السؤال بنعم .. بل طوبى لى لمجرد طرحى هذا السؤال ، ألا وهو ؛ هل يكفينى المسيح أم لا ؟.

إن مجرد طرح هذا السؤال ، هو وضع قدمى على أول الطريق الصحيح للسلام والسعادة .. ومع الوقت سأختبر كفايته لنفسى ، ولظروفى ، ولكل شيئ .. وسأختبر أن الإجابة هى ؛ **نعم**.

أصلى من أجلك حتى تفعلى ما فعلته الأخت " أم شفيق " ، زوجة خادم الرب الأخ " جرجس روفائيل " ـــ مؤسس أول اجتماعات للإخوة فى مصر ـــ عندما مات ابنها .. وكان زوجها مسافراً للخدمة فى قرى بعيدة .. وقت أن كان السفر فى معظم الأحيان يتم بالمراكب فى النيل ، أو بالدواب .. لقد فعلت مثل الشونمية ولم تخبر زوجها .. بل دفنت الولد فى غيابه .. ثم دخلت المخدع وصلّت .. وكتبت وقتها ترنيمة ، من أجمل الترنيمات .. والموجودة حالياً فى كتاب ترنيمات روحية (للإخوة) .. وبعض أعدادها يقول :

يا نفسى دوماً فكـــرى	فى ذلك الفادى الودود
إليه دومـــا انظـــــرى	ما دمت فى هذا الوجود
يارب ســـد أنت علـــى	شعـــورى وعواطفـــى
ولتنظرن عينـــى إليك	فـــى أحـــرج المواقف
يارب حوِّل نظـــــرى	عن كل منظر هنــــا
فكل منظر ســــــواك	فيــه المرار والعنــــا
ما دمت **أنت** منيتـــــى	ففيك دوماً أفـــــرح
ما دمت **أنت** غرضـــى	فكل ثقل أطــــــــرح

إلى آخر ما جاء بالترنيمة .. بما معناه ؛ يارب أغلق جميع شبابيك المناور والحوارى ، التى تطلُّ على ذاتى وعلى الظروف وعلى المصائب .. وأهدنى إلى

الشباك المفتوح دائمـــاً .. لها ، ولنا مثلهـــا .. والذى يطلُّ على السمـــاء .. حتى " فيك دوماً أفرح ".

ثم أرسلت بعد ذلك خطاباً إلى زوجها . تشجعه على الاستمرار فى الخدمة ، ومواصلة التجوال .. دون أن تخبره بموت ابنهما .. إلا بعد أن عاد إلى بيته.

هل هى أفضل منى ومنك ؟ .. كلا .. ما السر ؟ .. لقد اتجهت إلى شرفة السماء ، فوجدتها مفتوحة .. ونظرت إلـــى الرب ، فوجدته مسرعاً إلى معونتها (تث٣٣:٢٦ ، مز٣٨:٢٢) .. وحولت عينيها إليه ، فاستقت مـــن منظره البهيج كل سلام ، وتعزية مفقـــودة .. بموت الولد ، وبغير مـــوت الولد .. اقتربـــت من الشرفة ، فطالتها أشعـــة السماء .. كانت ترى الرب أمامها فلم تتزعـــزع (أع٢:٢٥).

فلا نكن أيتها الابنة العزيزة مثل " حزِيِّن " الذى مع أنه يسكن على الكورنيش ، لكنه " مش وش نعمة " .. يغلق النوافذ و " الفراندات " المطلة على البحر .. ويجلس على الأريكة .. ثم يفتح شباك المنور .. ليتأمَّل فى ماسورة مسدودة .. ويتمعَّن فى بالوعة " طافحة ".

ولا تؤاخذينى إن كانت عباراتى إليك شديدة .. فربما كان هذا مفيداً لك .. لكنى ـــ مع هذا ـــ أحمل لك كثيراً من المحبة والعطف .. من الشفقة والرثاء .. كابنة عزيزة .. حتى أننى تركت كل ما كنت أكتبه وقت أن وصلتنى رسالتك .. وسهرت ـــ متألماً لحالتك ـــ أكتب مسوَّدات هذا الرد ، فى نفس الليلة التى تسلمت فيها خطابك .. وقمت بتبييضها ، بعد ذلك ، فى فترة لاحقة .. وذلك حتى تصلك فى أسرع وقت.

سلامى للجميع والرب معك.

أبوك فى الرب
إســحق إســكندر

ملاحق

ملاحـــق

ملحق ١ هذا النوع من المقابر موجود فى منطقة سقارة .. مع ملاحظة أن الكاتب لجأ إلى تغيير طفيف فى تصميم المقبرة المذكورة .. لزوم القصة.

ملحق ٢ للمزيد من التفاصيل ، يمكن الرجوع إلى العددين ؛ التاسع ، من هذه السلسلة بعنوان " السجين الحالم " .. والعاشر ، بعنوان " ميمى بك ".

ملحق ٣ كما سيأتى ذكره فى الموضوع التالى ؛ " صراع رومية ٧ ".

ملحق ٤ فى العهد الجديد أربع معارك (يمكن الرجوع ـ بخصوصها ـ إلى العدد الخامس من هذه السلسلة) .. وهى باختصار :

الأولى : معركة الصليب ؛ وهذه ـ دون أن يكون لنا دور فيها ـ تمتعنا بنتائجها المباركة.

الثانية : المعركة مع أجناد الشر الروحية .. والمعروفة بمصارعة (أفسس ٦).

الثالثة : المعركة مع الخطية الساكنة فينا .. والمعروفة بصراع (رومية ٧).

الرابعة : وهى فى مواجهة آلام الزمان الحاضر (رومية ٨) .. والتى يزيد نصيب المؤمن منها عن غيره .. وذلك بإضافة آلامه من أجل المسيح ، إلى آلام الزمان الحاضر .. ويصل الأمر فيها إلى حسباننا كغنم تساق للذبح .. ومن أجل المسيح نُمات كل النهار.

وخوض كل معركة له أسلوبه وتكتيكه الخاص .. والانتصار فى كل معركة له قياس مختلف عن الآخر .. حتى أن ما يعتبر هزيمة فى معركة .. يعتبر أمراً يفوق الانتصار فى أخرى .. فحسباننا كغنم للذبح ، فى (رومية ٨) ، لا يعتبر انتصاراً بالمفهوم المعروف .. لكن ، لأنه لا يقدر أن يفصلنا عن محبة المسيح ، فهو .. وإن لم يكن انتصاراً .. لكنه يفوق الانتصار .. بينما فى مصارعة (أفسس ٦) لا يمكن أن نكون كغنم تساق للذبح ، أمام أجناد الشر الروحية .. فهذه هزيمة .. بل نحن فى هذه المعركة نلبس سلاح الله الكامل .. ونتمم كل شيئ .. ونثبت .. وهكذا.

كما أن ، انتصارنا فى المعركة الثانية ، وعتقنا فى الثالثة ، وصيرورتنا أعظم من منتصرين فى الرابعة ، شيئ .. وانقيادنا فى " **موكب النصرة** " ــ بأى وضع كنا عليه .. منتصرين أو مهزومين (كأفراد) ــ شيئ آخر.

كما أن هناك غلبة تغلب العالم ؛ هى إيماننا (١يو٥:٤) .. وهى غلبة دون معركة ندخلها .. ذلك لأننا بالإيمان نرتفع عن كل ما فى العالم (عب١١:٩،١٦).

والخلط بين هذه المعارك ــ أو اعتبارها معركة واحدة ــ يسبب تشويشاً .. والمزج بين الانتصارات فيها يخلق تناقضاً تطبيقياً ، كما هو تناقض كتابى .. ولا يقدِّم مفهوماً صحيحاً ، بل " سَلَطة " من المعارك ، ومسخاً شائهاً للانتصار.

ملحق ٥ الإعلان الصحيح ــ فى الكتاب ــ يكون عن الرب ، لا عن أنفسنا .. ويُقَدَّم للآخرين .. وإن كان لنا دور فى موضوع الإعلان ففى كوننا ــ بامتيازاتنا الروحية ، كما بسلوكنا العملى ــ رسالة المسيح الظاهرة (٢كو٣:٣) .. " للعالم للملائكة والناس " (١كو٤:٩) .. وليست المعلنة أمام بعضنا البعض ، بأننا منتصرون.

ومعلــوم أن الكرازة بالإنجيــل هـــى **إعــلان** للعالــم أجمــع (مر١٦:١٥) .. لكنها إعلان فردى يقوم به المبشر أو الخادم بدافع المحبة .. لذلك فهى **إعلان فردىٌ حبىٌ** .. أما **الإعلان الرسمى والشهادة الجماعية** بموضوع الكرازة ، فهو ما تقوم به الكنيسة ــ لا ما يقوم به فرد واحد ــ من خلال كســر الخبز .. " فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس **تخبرون بموت الرب** إلى أن يجئ " (١كو١١:٢٦).

ذلك لأن الكنيسة هى " عمود الحق وقاعدته " (١تى٣:١٥) :

عمود الحق : أى المنارة (رؤ١:٢٠) العالية (كما العمود) .. والشهـــادة الواضحـــة لهـــذا الحـــق .. أو بلغـــة أيامنـــا هـــى " برج الإرســـال " لهذا الحق .. تبثه ــ من خلال تركيبها الإلهى ، ومن خلال ممارساتها ــ للعالم أجمع.

وقاعدته : أى التى لديها المستند الرسمى الخاص بهذا الحق .. وهــو " الصخـــرة " التى ترتكـــز عليها (مت١٦:١٨) .. أى " أساس الله الراسخ " (٢تى٢:١٩) ، المبنية عليه (أف٢:٢٠).

فإن كانت الكرازة الفردية تأتى بنفوس للمسيح .. إلا أن دينونة الرافضين لا تكون لرفضهم هذه الكرازة الفردية وحدها .. فرفضها لا يعتبره الله ــ فى عدالته المطلقة ــ أمراً يقوم وحده دليلاً على الإدانة .. بل " لكى يستدّ كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله " (رو٣:١٩) ، فإن الرب رسم الكرازة الجماعية الرسمية للكنيسة من خلال كسر الخبز .. وهى التى على أساسها يدين الله الذين هم ــ ليسوا خطاة فقط بل ــ رافضون.

إن رفض إعلان الكنيسة الرسمى هذا ــ والحادث من وجود الكنيسة فى العالم كعمود الحق وقاعدته ، وأيضاً من ممارستها لكسر الخبز ــ هو الحيثية الدامغة لدينونة الرافضين.

وإن كنا نهتف بأننا " غالبين بيســوع " .. و " للسما رايحين " .. " بقوة يســوع " .. و " أنشــد نشيد الحريــة " ، التى بها " حررنى يســوع " .. فلا بأس من ذلك .. لأنى فى هذه الحالة أهتف بانتصار الرب ـ لا بانتصارى أنا ـ فى المعركة الأولى ، التى لم أدخلها ، ألا وهى معركة الصليب.

وهذا معناه ؛ أنى رغم صراعى مع أجناد الشر الروحية فى (أفسس ٦) ، واحتمال هزيمتى .. ورغم عجزى إلى درجــة الموت ـ كما سنرى ـ فى صراع (رومية ٧) .. ورغم كونى كشاة تساق إلى الذبح فى ملحمة (رومية ٨) .. ورغم كذا وكذا من الموانع الخاصة بالبرية ، أو بضعفى وعجزى ـ لا بقوتى أو انتصارى ـ فإنى ـ نتيجة لانتصــار الرب فى الصليــب والقيامة ـ سأصل للسماء .. منتصراً كنت أحياناً ، أو مهزوماً أحياناً أخرى ، فى معركة أو أخرى من معاركى الشخصية.

أما أن أقف ـ مشغولاً بذاتى .. مفتوناً بقدراتى ـ لأشدو بانتصارى على كل الأعداء .. وبالجملة .. وفى كل المعارك .. وتحولى إلى شخص " سوبر " .. " يفوت فى الحديد " .. ولا شيئ يقف فى طريقه .. فقد قدمت شهادة عن نفسى .. لا عن المسيح .. وليتها كانت شهادة دقيقة.

لأنه إن سلَّمنا بأن " أسوار أريحا " ـ على سبيل المثال ـ هى رمز لقوة الشيطان .. وأنها تتهدم أمام التابوت ـ وهو رمز للمسيح ـ وذلك فى طريق تمتعنا الآن ببركاتنا الروحية فى السماويات .. وسلمنا بأن ما ترمز إليه هذه الأسوار ـ معنوياً ـ ينهدم أمامنا ، بقوة من يرمز إليه التابوت ـ لا بقوتنا ـ مما يعتبر انتصاراً فــى معركة (أفسس ٦) .. أقول إن سلَّمنــا بهذا كله .. فهل أنا الذى أسقطت هذه الأسوار أم التابوت ؟ .. وهل انتهت جميع جولات المعركة ، أم أن هناك جولات قادمة ؟ ..

وهل فارق الشيطان سيدنا المبارك ــ بعد تجربته على الجبل ــ نهائياً ؟ .. أم " **إلى حيــن** " (لو٤:١٣) .. أى إلى عودة مرَّة أخــرى ؟ .. فإن كانت هذه " الأسوار " قد سقطت مرَّة أمامى فى صراع (أفسس ٦) ، فهل انقطع ظهورها مرَّة أخرى ، أو مرات ، فى طريق تمتعى بالسماويات ؟ .. وهل أفلس إبليس .. أو فرغت جعبته من المكائد ؟ .. إن الكتاب لا يقول أننــى هزمت الشيطان .. ولا حتى أن الله قد هزمه لصالحى فى معركة (أفسس ٦) خاصة .. أو فى الحياة العملية بصفة عامــة .. بل يقول : " إله السلام **سيسحق** الشيطان تحت أرجلكم **سريعاً** " (رو١٦:٢٠) .. أى لم ينته الأمر بعد .. ولا انتهت جولات (أفسس ٦) .. ولا حُسمت نتيجة المعركة مع أجناد الشر الروحية بعد .. فكيف يحق لى أن أهتف قبل انتهاء جميع الجولات مع هذا العدوّ فى (أفسس ٦) ــ وغير (أفسس ٦) ــ بأنى قد انتصرت عليه ؟.

ثم ماذا عن آلام الزمان الحاضر ؟ .. هل قهرتها .. أو نجوت منها ؟ .. وهل خلا جسدى ــ مثلاً ــ من المرض .. أو حياتى من المشقات .. أو ظروفى من التجارب .. أو طريقى من المعوّقات ؟ .. وهل انتصرت على الجزار الكونى .. وسكينه ، من شــدة وضيق .. وجــوع وعرى .. وخطر واضطهاد .... إلخ ؟ .. وهل انتفضت فأطحت به وبسكينه .. وقمت هاباً منتصراً .. لأعلن نصرى هذا .. أم أننى سأظل هكذا ؛ كلما ضحيت من أجل المسيح ، كلما زادت مساحة هذه الأتعاب .. وزادت ساعات السكين العصيبة .. لتصل فــى حالة التاعب الكبير ، بولس الرسول إلى قوله : " لأننا من أجلك نمات **كل النهار** . قد حُسبنا مثل غنم للذبح " (رو٨:٣٦) ؟ .. ألا يعدُّ هذا أمراً يفوق الانتصــار ؟ .. لذلك فإن وُجد الهتــاف فإنه يكــون

" يعظم انتصارنا بالذى أحبنا " .. أى نهتف بأن " غلَبْنَـــا " هذا ــ لا نصرنا ــ هو ما يفوق الانتصار.

ثم ــ أيضاً ــ ماذا عن صـــراع (روميـــة ٧) هل خرجت منه بعد ؟ .. وإن كان " ناموس روح الحياة " هو الذى يعتقنى ــ كما سيأتى ذكره فى متن الكتاب بعد قليل ــ فهل يحق لى أن أعتبر أن هذا العتق هو انتصار قد أحرزته أنا ؟ .. ثم إن كان قد حدث فهل يحق لى ــ من الأساس ــ أن أعلنه وأهتف به وسط المجتمعين ؟.

وإن اعترض أحد بالقول أنه يعلن نصره ــ بصفة عامة ــ دون الدخول فى هذه التفاصيل المرهقة ، لعدد هذه المعارك ، أو أساليب خوضها ، أو قانونية الانتصار فى كل منها .. نقول له ومن الذى قال أصلاً بتعميم النصر .. أى جعله نصراً عاماً ؟ .. وإن حدث النصر مقاساً بالقياس الكتابى الصحيح لكل معركة ، فهل يجب علىَّ أن أعلنه مفتخراً به ؟ .. ماذا يقول الرســـول .. يقول : " فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى (الشوكة ما أشبه) لكى تحل علىَّ قوة المسيح .... لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى " (٢كو١٢:٩،١٠) .. " ومن افتخر فليفتخـــر (لا بنفسه) بل بالرب " (١كو١:٣١).

ثم ماذا عن المبتدئين الذين يدخلون الاجتماع ــ ربما لأول مرَّة ــ ويسمعون الهتاف العنترى عن هذا النصـــر المزعوم الضارب فى شتى المجالات .. بينما هم لا يزالون فى مرحلة صـــراع (روميـــة ٧) ؟ .. ألا يكون هذا الهتاف الجامع المانع ــ فى الظاهر ــ والخالى من مضمونه ــ فى حقيقة الأمر ــ مدعاة لفشلهم فى حياتهم الروحية.

يقول الرسول : " فإنى أقول لكم بالنعمة المعطاه لى **لكل** من هو بينكم أن لا يرتئى فوق ما ينبغى أن يرتئى بل يرتئى إلى التعقُّل "

(رو١٢:٣).

ملحق ٦ مع ملاحظة أن **هذه النهاية** ــ أى الحياة الأبدية ــ ليست مشروطة بوجود ثمر للقداسة .. بمعنى أنه إذا وُجد هذا الثمر كانت هناك حياة أبدية لصاحبه .. وإن لم يوجد حدث العكس .. كلا .. ذلك لأن الحياة الأبدية هى " هبة الله " (رو٦:٢٣) المجانية (رؤ٢٢:١٧) .. دون مقابل (إش٥٥:١).

والرسول عندما كتب " أما الآن فلكم ثمركم للقداسة **والنهاية** حياة أبدية " (رو٦:٢٢) ، إنما أراد أن يرسم لنا البرنامج الإلهى ، والخط الصحيح لطريق المؤمن ــ كما هو فى فكر الله ــ الآن ومستقبلاً.

فإن تقاعس المؤمن عن اندراجه فى هذا البرنامج الخاص به ــ من جهة القداسة أو غير ذلك ــ وكان غير أمين فى موقف أو أكثر .. ماذا يحدث ؟ .. يجيبنا الرسول : " فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء . أفلعل عدم أمانتهم يُبْطل أمانة الله . حاشا . بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً " (رو٣:٣،٤) .. و " إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه " (٢تى٢:١٣) .. و " أمين هو الذى يدعوكم الذى سيفعل أيضاً " (١تس٥:٢٣) .. ولأن " الذى وعد هو أمين " (عب١٠:٢٣) ، فلن يتراجع عن وعده ؛ " وعد الحياة التى فى المسيح يسوع " (٢تى١:١) .. " الحياة الأبدية التى وعد بها (وعداً غير مشروط) الله المنزّه عن الكذب " (تى١:٢) .. وهو وحده " القادر أن يحفظكم غير عاثرين ويوقفكم أمام مجده بلا عيب فى الابتهاج " (يه٢٤) .. و " الذى سيثبتكم أيضاً **إلى النهاية** بلا لوم فى يوم ربنا يسوع المسيح " (١كو١:٨).

وحتى لا يخطئ أحد فهم عبارة الرسول " والنهاية حياة أبدية " (فى عدد ٢٢ من رومية ٦) ، ويعتقد أن الحياة الأبدية هى أجرة

للقداسة ، فإن الرسول يضيف على الفور (فى العدد التالى ٢٣ مباشرة) " .... وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا " (رو٦:٢٣) .. ولأنها هبة ، فهى لا تُسحب .. ذلك " لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة " (رو١١:٢٩).

الأمل معقود ــ لا علينا ــ بل عليه وحده .. والرجاء موقوف ــ لا على أمانتنا ــ بل على أمانته فقط .. دون أن يكون هذا الكلام مناداة بالتقاعس عن اتباع الأسلوب الصحيح للوصول إلى حياة القداسة.

ملحق ٧ راجع جولات الصراع الأربع فى العدد السابق بعنوان " ميمى بك ".

ملحق ٨ الأصح " تقويم " .. ولكن حتى لا يُفهم معنى مخالفٌ ، تم استخدام اللفظ الشائع " تقييم ".

ملحق ٩ لم يكتب الرسول (وكلِّى) مبيع تحت الخطية .. لكن كان هذا رأى صاحبنا فى نفسه .. أو بالحرى اكتشافه الأول.

ملحق ١٠ لم نتطرق هنا إلى النواميس كما ذكرت فى رسالة يعقوب.

ملحق ١١ أما إن كان كلام الرسول يوحنا موجَّهاً إلى المؤمنين عامة ــ وليس إلى فئة دون أخرى ــ فإنما يكون ــ فى هذه الحالة ــ موجَّهاً إليهم على أساس أنه القياس الأمثل ، المدعوون جميعهم إلى الوصول إليه .. دون أن يخوض الرسول فى كيفية الوصول إليه.

وكلام الرسول يوحنا إلى أولاده المؤمنين لكى لا يخطئوا .. هو شأن كل التحريضات الكتابية التى تحث على العيشة بالقداسة .. دون التعرض لكيفية الوصول إليها.

لذلك فإن كنا قد قلنا أن الجهاد الناموسى ضد الخطية الساكنة فينا هو جهاد فاشل ، فليس معنى هذا أن نلغى عشرات التحريضات الكتابية على عدم فعل الخطية ، وعلى العيشة بالبرّ العملى.
إننا ــ على العكس نضع ــ تحت الأضواء ــ رؤيتنا الكتابية لكيفية الانتصار على الخطية التى فينا .. مساهمة منا فى الوصول إلى المستويات الكتابية للقداسة .. لا القول بعدم وجوب الوصول إليها ، حال كوننا ننادى بعدم جدوى الجهاد الناموسى.

ملحق ١٢ هذا بخلاف حراسة الرب (عد٩:٢٣) .. أى حراسة خيمة الاجتماع (عد١٨:٣،٤) ، وحراسة القدس (١ أى٢٣:٣٢) .. والسهر عند مصاريع الرب وحفظ قوائم أبوابه (أم٨:٣٤) ــ فى العهد القديم ــ وما تشير إليه من حراسة للحق ، والدفاع عنه ــ بالكلمة ــ فى العهد الجديد.
فحراسة الحق مطلوبة .. وكان الرسول بولس " موضوعاً لحماية الإنجيل " (فى١:١٧) .. و " المحاماة عنه " (فى١:٧).
أما حراسة " الباشا " " لميمى " ، فكانت صراعاً مريراً .. أدى إلى هزيمة مؤسفة ــ برجاء الرجوع للعدد السابق.

ملحق ١٣ فى هذا العدد نرى الإماتة الفعلية لأعمال الطبيعة القديمة.
ولما كانت الشرور هى أحد وجهى العملة ــ عملة هذه الطبيعة ، كما رأينا فى العدد السابق "ميمى بك" ــ بينما الوجه الآخر لها هو التديُّن الجسدى ، ومحاولة الاقتراب لله من منطلق النديَّة له .. لذلك فإن هذه الإماتة الفعلية لا تشمل وجهاً واحداً لهذه العملة ، بل تشمل الوجهين.
وهذا ما نراه فى رسالة كولوسى .. واللافت للنظر ، أن الرسول بولس فى هذه الرسالة يتناول أولا الموت عن التديُّن الجسدى ، فى الأصحاح الثانـــى (كو٢:٢٠) .. ثم يتنـــاول بعد ذلك إماتـــة

أعضاء الطبيعة القديمة ، فى الأصحاح الثالث (كو٣:٥).

ملحق ١٤ لِحزيّن أشقاء .. سنقرأ عنهم قريباً فى قصة " الدفترخانة " .. بمشيئة الرب.

ملحق ١٥ وهو ما ستقــرأ عنه فـــى العدد ١٣ بمشيئـــة الرب ؛ بعنـــوان " هى تبيد وأنت تبقى ".

مــن أقوالهــم

الإنسان تتنازعه نوازع الرغبة بين ما تغريه به النفس .. وبين **نداء الضمير والعقل الواعى** .... وحين يشتد الصراع فى أعماقه بين هذا وذاك ، قد ينحصر داخل نفسه ، ويزهد فى الحديث مع من حوله ، ويفتر حماسه للأشياء.

الكاتب والصحفى " عبد الوهاب مطاوع "

المــراجــــع

- معظم مراجع العدد السابق
- الأهرامات المصرية — د. أحمد فخرى
- مصر القديمة — سليــم حســن
- الخروج من القوقعة — مقال عبد الوهاب مطاوع
- الكلام الكبير — مقال د. عبد القادر القط

فى هذا العـــدد:

- أحلام تفيدة.
- محنة مجاهد.
- صراع الأصحاح السابع من الرسالة إلى أهل رومية.
- الاكتشافات الستة.
- النواميس الاربعة.
- حزيِّن وهوايته الغريبة.

أعداد تحت الطبـــــع:

- سر الله
- الدفترخانة
- وغيرها

سلسلة ملء الجباب

تطلب هذه السلسلة من

كنيســـــــة الإخوة

٧ شارع الدرى – ميدان الجيزة

ومن المكتبات المسيحية